

المؤسسة العسكرية
في عهد محمد علي باشا
(محمد علي باشا ، الجيش ، المدارس الحربية)

م . م عبد الحسين علوان الدرويش

الجامعة المستنصرية / كلية الاداب

الملخص :

يستمد الموضوع اهميته من كون محمد علي باشا شخصية سياسية تاريخية ادت دورا كبيرا ليس في تاريخ مصر وحدها ، بل في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، لقد نجح محمد علي الكبير في بناء دولة كان لها مؤسساتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وكان جل اهتمامه بالمؤسسة العسكرية طوال عهده الذي يقترب من نصف قرن من خلق توازن استراتيجي بين المركزية للادارة العثمانية والاستقلال الذاتي - المصري . وهكذا نجح محمد علي في خلق دولة عسكرية ومركز سياسي فعال متيحا نصف ايرادات دولته كتخصيصات للجيش واقامة التحصينات ونتاج الاسلحة والاسطول البحري .

Abstract :

The subject derives its importance from the fact that Mohammed Ali Pasha historical political figure played a significant role in the history of Egypt is not alone, but in the history of modern and contemporary Arab, the great Muhammad Ali has succeeded in building a state had a political, social and economic institutions. The bulk of his interest in the military establishment throughout his reign, which is close to half a century of creating a strategic balance between the central administration of the Ottoman self - Egyptian and independence. Thus Muhammad Ali succeeded in creating a military and political center of the state effectively allowing half of state revenues Kt_khasisat army and the establishment of fortifications and weapons production and maritime fleet.

المقدمة

يستمد الموضوع أهميته من كون محمد علي باشا شخصية سياسية وعسكرية ادت دوراً كبيراً ليس في تاريخ مصر وحدها ، بل في تاريخ العرب الحديث ، فقد نجح محمد علي باشا في بناء دولة كان لها مؤسساتها السياسية فيما بعد وخططها للمستقبل وركز جل اهتمامه بالمؤسسة العسكرية حتى استطاع طوال عهده الذي يقترب من نصف قرن ، من خلق توازن إستراتيجي بين مركزية الادارة العثمانية والاستقلال الذاتي - المصري بحيث حقق وفق منظور تكتيكي استقرار سياسي اتاح خلاله تنفيذ البرامج والخطط التنموية في مجال الاقتصاد والاجتماع معتمداً بذلك اساساً ومحوراً على تطوير الياته وعناصره العسكرية التي خدمته ليس في الدفاع عن كيانه السياسي، وانما في التوسع المستقبلي على اطراف عديدة .

يعد استقلال مصر في عهد الباشا عن الدولة العثمانية أول انجاز اكتسبه واطر مديات المزيد من الشرعية السياسية والتاريخية والحق المكتسب ، بل وكان تهديده للعاصمة اسطنبول بمثابة اشارة سياسية لاحت بالافق بالانذار واطلاق الضوء الاحمر للدول الاوربية ، وعلى اثر هذا الانذار غير المتوقع فقد سارعت اوربا الى نجدة (الرجل المريض) .

وهكذا نجح الباشا في خلق دولة عسكرية ومركز سياسي فعال متيحاً نصف إيرادات دولته كتخصيصات للجيش واقامة التحصينات وانتاج الاسلحة والاسطول البحري .

قضى على العناصر والاجهزة القديمة على راسهم المماليك والمشايخ وزعماء القبائل، حتى اصبح بمقدوره في مجابهة بريطانيا عام ١٨٠٧م فضلاً عن انتصاراته المتلاحقة في بلاد الشام والحجاز والحيرة والخليج العربي ، فشعرت بريطانيا بالرعب من هذه القوة المتزايدة والمتصاعدة ، ليس في الوطن العربي فحسب بل جابهت الدول الاوربية حتى سارعت للعمل من اجل تحجيم هذا الجيش القوي فرضت عليه معاهدة لندن ١٨٤٠ م التي حصرت نشاطه في مصر ..

قسم البحث الى ثلاثة فصول وكل فصل يحتوي على ثلاثة مباحث ومقدمة وخاتمة نستعرض بها اهم الاستنتاجات عن المؤسسة العسكرية في زمن محمد علي باشا ثم بعد ذلك قائمة بالمصادر والمراجع .

الفصل الاول : النشأة وبداية استلام السلطة :

المبحث الاول : شخصية محمد علي الكبير (١٧٦٩-١٨٤٩)

كان محمد علي والياً عثمانياً ومؤسساً أول دولة عربية حديثة في مصر ، وهو محمد علي باشا بن ابراهيم بن علي ، ولد في مدينة (قوله) التابعة لليونان اليوم من اصل الباني مستعرب لم يتلق اي تعليم في حياة ولا في شبابه فكان امياً لم يتعلم القراءة والكتابة الا في الخامسة والاربعين، وقاد دفعة الحكم عشر سنوات وهو على اميته ، اتخذ من تجارة التبغ مهنة له بادئ فكانت تدر عليه ثروة كبيرة (١).

دخل في الخدمة التركية وقاد الجنود الالبانيين الذي كانوا يحاربون الى جانب السلطان ضد الفرنسيين عام ١٧٩٩م وقد تأمر محمد علي على المسؤولين الاتراك في مصر على نحو فعال حتى ان السلطان عينه على مضض حاكماً عام ١٨٠٥ م . وتنازل له عن السلطات العليا على انحاء مصر كافة عام ١٨١١م (٢).

عاش محمد علي طفولة يتيمة مترعرا في احضان اسرة غربية ، وعند ما بلغ الثلاثين من العمر الحق بكتيبة البانية ، وظهر في الجيش موهبة وذكاء وشجاعة وقدرة في القيادة فغدا قائداً للقوات الالبانية التي دخلت في عداد الجيوش العثمانية المرسلة الى مصر (٣) .

كان ابوه (ابراهيم اغا بن علي) من تركياً يقوم بوظيفة رئيس الحرس في (قوله) فلما مات كفله عمه (طوسون)، ثم لما مات طوسون بعد فترة وجيزة كفله حاكم المدينة او (الشوربجي) وهكذا تربى محمد علي مع ابن الشوربجي على اعمال الفروسية كركوب الخيل واستعمال السيف .

ومن الذين اكرموا مثنوى الولد اليتيم وعطفوا عليه ايام صبوته تاجر فرنسي اسمه (الميسو ليون) من مرسيليا ، كان يتاجر في الدخان في (قولة) منذ سنة ١٧٧١م ، فكان محمد علي يتردد عليه ويتعلم منه اساليب التجارة .

وهناك حكاية يذكرها المؤرخون والتي اظهرت عبقرية محمد علي من الدهاء والحزم والجرأة، حيث ان اهل قرية (بروسطة) امتنعوا عن دفع المال المطلوب ، فاستعصى الشوربجي حل هذه المشكلة فتقدم محمد علي على حل هذه المعضلة بطريقته الخاصة (٤).

لذلك ولما اظهره محمد علي من الهمة وبعد النظر والحكم في الامور كافأه الحاكم برتبته ((يوز باشي)) وزوجه باحدى قريباته وكانت ارملة ذات ثروة فولد منهم خمسة منهم ثلاثة ذكور وهم : ابراهيم وطوسون واسماعيل ، الاول سماه باسم والده ، والثاني باسم عمه والثالث باسم مربيه الشوربجي . وبسبب الثروة التي كانت لزوجته زاول محمد علي مهنة التجارة في السلعة التي اشتهرت البلاد بانتاجها وهي الدخان .

وقد قضى محمد علي سنين طويلة في عيشة منزلية هادئة ، مجدا مثابرا في التجارة ، عاملا بكل اخلاص وجهد ومثابرة على تربية ابنائه وبناته ، حيث لم يخطر بباله قط ، انه سيأتي يوم يهجر فيه التجارة والوطن ويقوم في حمله حربية الى بلد بعيد (٥).

المبحث الثاني : استلام السلطة :

حين جاء محمد علي الى القاهرة ، وكان ضابطا في الفرقة الالبانية التي ارسلها السلطان الثاني في سنة ١٧٩٩م لتقضي على حملة بونابرت . وكان انذاك شابا في ثلاثين من عمره ، ولم تكن موهبة الفذة قد اكتشفت بعد . وقد هزم نابليون الالبانيين من غير مشقة ، ومع ذلك فقد كانت تلك الهزيمة هي التي أتاحت لمحمد علي الفرصة ، فتسلم قيادة الفرقة ، ووجد نفسه - حيث جلا الفرنسيون عن مصر عن ذلك بعامين على رأس جيش صغير ، وفي منصب يتيح له الحكم والنفوذ - فانتهاز هذه الفرصة واستغلها لفائدته ، واتبع بذكائه ودهائه جميع

الوسائل التي اظهرت مواهبه السياسية ومقدرته العسكرية ، وما ان وافت الفرصة سنة ١٨٠٥م حتى اصبح صاحب السيادة العسكرية على مصر واعترف له بلقب الوالي عليها^(٦).

وفي مصر ، رسم محمد علي وخطط لكي يكون على راسها في يوم من الايام فتحالف مع (المماليك) (٧) ، معلنا ، معهم حربا على الباشوات العثمانيين وقد انتهت الحرب في شهر كانون الثاني عام ١٨٠٤م بهزيمة الاتراك العثمانيين ، فتمكن المماليك من فرض ارادتهم في مصر لأول مرة بعد عشرات السنين عاشوا خلالها جملة من التناقضات والانقسامات والصراعات الداخلية ، وعليه فقد استعادوا سلطتهم وممتلكاتهم من خلال ذلك فابعدوا الاتراك . وبدأوا بنهب الشعب برئاسة عثمان البرديسي الذي وقف ضد الانكليز من خلال عميلهم المملوك (محمد الالفي) الذي أبيدت كتيبته العسكرية امام المماليك ، وهرب بنفسه الى الصحراء (٨). لقد انفجرت الثورة ضد المماليك من قبل ابناء الشعب المصري بطبقاتهم الاجتماعية المختلفة اثر تاثرهم بالسياسة الجائرة التي اتبعوها الاقطاعيون المماليك فانتهز مفجر الثورة تلك الانقسامات الموجودة داخل معسكر المماليك ، وكان على راسهم شيوخ الازهر من الرجال المسلمين ، وجرى التخطيط بامتناع السكان عن دفع الضرائب في وقت واحد وبدأوا بقتل الحياة ، فدارت رحى حرب الشوارع في مدينة القاهرة ، وقد حوَصر قصر زعيم المماليك عثمان البرديسي ودمر في يوم ١٢ اذار ١٨٠٤م وفر البرديسي الذي كان من حلفاء المماليك في الامس القريب من الالبانيين وفي لحظة تاريخية من لحظات الثورة كان محمد علي بارعا في اختيارهم لكي ينحاز الى جانب الثورة بعد ادراكه تعاظم نفوذهم في الشوارع التي تؤدي جميعها الى مراكز اشعاعهم من الجامع الازهر^(٩). فوصل محمد علي لكي يلقي هناك خطابا في اجتماع كان يعقده الشيوخ الكبار ، وقد وعدهم ببذل جهوده لالغاء الضرائب عن كاهل الجماهير المصرية وان يكون حاميا للمصالح الشعبية ، موجهها كتائبه الالبانية القوية لمحاربة المماليك ، وكان محمد علي باشا مصمما على القضاء على قوة المماليك في مصر ومحاربتهم في المقاطعات وفعلاً أوقع بهم الهزائم ، اما الذين كانوا قريبين منهم في القاهرة فانه دعاهم الى وليمة في القلعة وقتلهم جميعا .

وبعد ان اتم محمد علي تحطيم المماليك اتجه الى بذل الجهد والنشاط لبناء دولة قوية وحديثة في مصر . (١٠) وعندما تسلم محمد علي باشا الحكم في مصر ، في الوقت الذي كانت فيه تعيش عصر اشبه بالعصور الوسطى من كل النواحي ، لذلك حاول محمد علي الخروج بمصر من تلك العصور باتباع وسائل النهضة الأوروبية الحديثة في كافة المجالات العلمية والعسكرية والاقتصادية وبناء امبراطورية مصرية لتحل محل الدولة العثمانية في الشرق.(١١) فقد حصل الشعب على حقه في الحكم نفسه نتيجة لاحتاساسه بذاتيته بعد الحرب ضد قوات نابليون وتضحياته الهائلة من اجل القضاء على الحكم الفرنسي . وكانت تحدد معالم ظروف المهمة الموكلة له . واولى مهامه ان تخلص من العصابات العسكرية التي افها المماليك وبسطت سيطرتها على مناطق كثيرة في البلاد ولاسيما في الوجه القبلي ولو كان الشعب الف كتائب نظامية وخلق قيادة عامة لهذه الكتائب لما كانت في حاجة الى جنود الارناؤوط الذين قادهم محمد علي ، ولما كان في حاجة الى محمد علي نفسه الذي يملكه افراد من هذا الشعب ولا يكون جيشاً يقف في وجه المماليك . (١٢) الثورات الشعبية التي حدثت ضد حكم محمد علي باشا هي اربع ثورات .

شهدت القاهرة ثورة سنة ١٨٢٢م التي نفي من اجلها السيد (عمر مكرم) (١٣) ، و ثورة في منوف في مايو سنة ١٨٢٣م و ثورة في منفوط في مارس سنة ١٨٣٨ ، و ثورة في اسبوط في فبراير ومارس سنة ١٨٣٩م ، ولكننا نعتقد ان اخطرها جميعاً كانت ثورة الفلاحين الصامته ضد سياسة احتكار الأرض والحاصلات وتحويلها واهاليها الى رقيق للوالي . (١٤) ولكننا مع هذا لا نقول انه لو لم يشرع محمد علي انشاء جيش من ابناء المصريين لما انشئ هذا الجيش ، لكن الجيش المصري الخالص سينشأ ولكن برغبة المصريين انفسهم ، لايوقع السياط التي كان ينزل بها محمد علي على ظهورهم ، والسبب المباشر الذي سيحمل المصريين على انشاء الجيش هو انهم رأوا جيوش فرنسا وانجلترا في بلادهم ، واصطدموا بها اصطداماً مروعاً ، وعانوا اسلحتها .

محمد علي حكم مصر بالحديد والنار ٤٤ سنة ومات مجنوناً ، لانه لم يستطيع ان يقهر المصريين ويجعلهم عبيداً كما اراد . لقد توترت العلاقة بين مصر والدولة العثمانية بسبب محاولة محمد علي الاستقلال عن الدولة العثمانية والتوسع على حسابها ، في حين اصطفت الدول الاوربية بالوقوف الى جانب الدولة العثمانية للحفاظ على مصالحها الحيوية في الاراضي العثمانية وعقدت معاهدة تجارية بين انكلترا وتركيا عام ١٨٣٨م . بحيث توترت العلاقة على تركيا لدرجة المواجهة العسكرية عام ١٨٣٩م وجرت معركة كبيرة قرب نصيين ومن نتائج التدخل الاوربي اتفاقية لندن عام ١٨٤٠م ، للحد من نشاط محمد علي وانكفائه في مصر وكان من اهم بنودها ما يلي :

١- جعل نظام الحكم ملكي وراثي محصور باسرة محمد علي في مصر .

٢- تسليم جميع الممتلكات التي استولى عليها محمد علي للدولة العثمانية .

وبهذه النتيجة جعل الشعب المصري يدفع الثمن باهضاً بالارواح والاموال في حملات محمد علي وبناء المؤسسات العسكرية تحديداً (١٥) .

المبحث الثالث : بناء الدولة :

ادرك محمد علي، ان بقاءه في مصر ونجاحه في تدعيم حكمه فيها لن يتوقف فقط على رضا الاهالي او عطف السلطان ، او سكوت المماليك ، وانما يعتمد قبل كل شيء على نجاحه في بعث القوى الكامنة في هذه البلاد : وذلك بتنظيم اداراتها وتنمية مواردها ، وتعليم ابنائها وتكوين قوة عسكرية نظامية كافية لارهاب خصومه ، وتوطيد حكمه وصد الغزو الاجنبي واقرار على مصر بالدولة وبهذا يكون استكمال المقومات اللازمة لبناء دولة حديثة ،ولهذا كان النظام التعليمي في عهد الباشا حيث اصبح التعليم واجباً من اسمى الواجبات التي تنهض بها الحكومة ووجه البلاد نحو الحضارة الأوربية ، حيث كانت مصر في مقدمة الامم الشرقية التي عنيت بالتعليم ، اذ كانت سباق الى التعليم الديني باانشاء الازهر ، وكذلك انشاء المدارس الحديثة والتي تعتبر من اهم العوامل في بعث الروح القومية في مصر ، فلاول مرة في تاريخ مصر

الحديث ولي المصريون المتعلمون كثيراً من شؤون بلادهم ، فاصبح منهم الضباط في الجيش والاسطول البحري والاطباء والمهندسون والمعلمون ورجال الادارة .^(١٦)

ولما كانت مصر تمتلك المقومات اللازمة لبناء دولة حديثة ، من تنوع الموارد ووفرة السكان ، فإذا احسن الحاكم الانتفاع بهذه المقومات بتنظيم هذه الموارد واستغلالها بما فيه خير البلاد ، وعليه كانت سياسة الباشا الاقتصادية تقوم على قاعدتين :

١- ان تسيطر الدولة - والدولة اذ ذاك تتمثل تماماً في الباشا - على جميع المرافق البلاد الاقتصادية ، وهذا يخالف تمام المخالفة لما جرى في العصر العثماني المملوكي من ترك اقتصاديات البلاد من زراعة وصناعة وتجارة من غير تنظيم حكومي ، فكانت خطة الباشا تقوم على التنظيم التدقيق لجميع مرافق البلاد .

٢- ان يعمل على زيادة موارد الثروة ، وبذلك يزداد دخل الحكومة وتتمكن من التوسع في سياسة الاصلاح ومواجهة الابعاء العسكرية .^(١٧)

وأدت السياسة الزراعية التي استخدمها الباشا حيث فرض على الفلاحين زراعة الحاصلات الجديدة التي ادخلتها الحكومة او توسعت في زراعتها كالقطن وقصب السكر ، وقد قصد بها الباشا الى تحقيق اغراض صناعية وتجارية ، كما قام بالاعمال الهندسية للاستفادة من مياه الفيضان ، وادخال الري الدائم في مصر ثورة في نظام الري والزراعة بغية استخدامها في الصناعة الحديثة ، فانشأ لهذا الغرض المصانع الكبيرة وقام على تزويدها بالالات والعمال والمواد الخام ، وهناك اهم الصناعات في عصر الباشا هي الصناعات العسكرية والنسيج .^(١٨)

وهكذا ، وجد محمد علي باشا مصر مفتوحة كلها امامه دون منازع ، ولكنه كان يخشى بقايا المماليك الذين سهل امامه مطاردتهم . واخيراً نظم مذبحة القاهرة في اذار ١٨١١ م ثم مذبحة سنا بعد عام فقضي عليهم قضاءً مبرماً لم تقوم لهم بعد ذلك قائمة .

ولم يتخلص محمد علي باشا من المماليك فحسب ، بل استطاع يوماً بعد آخر من التخلص من نفوذ المشايخ وعلماء الدين ونقيب الاشراف بعد ان كشف مخاطرهم ونقاط ضعفهم في المجتمع والسلطة معاً فاستطاع ان يبعدهم ويفرقهم واحداً بعد الآخر. (١٩)

كانت مصر في نهاية القرن الثامن عشر تكاد تكون بلداً زراعياً خالصاً . وكان مصدر دخلها الرئيسي هو ((الميري)) او ضريبة الأراضي الزراعية . وكانت جباية هذه الضرائب يعهد بها الى طائفة من جباة الضرائب يطلق عليهم اسم ((الملتزمين)) كانوا يمنحون في مقابل خدماتهم اقطاعيات كبيرة من الاراضي معفاة من الضرائب مع حق تسخير الفلاحين في زراعتها لهم .

وكان الشيخ او رئيس القرية مسؤولاً عن جباية الميري المفروض على القرية كلها وقد جرد محمد علي باشا الملتزمين من اقطاعياتهم ، والغى نظام الالتزام فقد زرعها محمد علي بمعرفته او منحها لاعضاء اسرته او لكبار الموظفين . وقد امر بعمل مسح عام للاراضي الزراعية حصر به مساحات الاراضي التي اعطى المزارعين حق الانتفاع بها . ثم ادخل نظاماً جديداً يتعلق بمحاصيل التصدير التي تدر اكبر قدر من الربح ، يقضي بيع هذه المحاصيل للحكومة باسعار تحددها الحكومة ذاتها . وكانت الحكومة بعد ذلك تبيعها بثمن اعلى للتجار الأجانب لتصديرها للخارج ، وكذا للتجار المحليين لتسويقها في السوق المحلية . وقد طبق نظام الاحتكار هذا ايضا على كثير من السلع الواردة .

وقد كان الهدف الرئيسي من نظام الاحتكار هو تزويد محمد علي بالأموال التي تحتاجها لتمويل نفقاته العسكرية والبحرية . الا ان محمد علي لم يحقق شيء من ذلك ، بسبب كراهية الفلاحين لنظام الاحتكار حيث ان الجهد المبذل من قبلهم في زراعة المحاصيل لا يجنون من ورائه سوى ربح ضئيل بالاضافة الى الخدمة العسكرية الالزامية والاشغال العامة التي كانت تجرد القرى من الرجال القادرين . (٢٠) وقد ارهقهم بتكاليف حروبه ومشروعاته العامة دون رحمة . لقد كان الدخل في مصر في عام ١٨٠٠م يقدر بحوالي ٧٥,٨١٠ من الجنيات المصرية ، فارتفع في عام ١٨٤٧م الى ٢٠٠,٨٠٠ جنيه مصري . وكان اربعة اخماس هذا

المبلغ تكون من الميري ، و ضريبة الرؤوس وكان ما يقرب من ثلث هذا الدخل يصرف على الجيش . (٢١)

الفصل الثاني : المؤسسة العسكرية

المبحث الاول : الوضع السائد للجيش قبل مجيء الباشا :

بعد مغادرة الفرنسيين مصر عام ١٨٠١، بقيت مرابطة فيها قوات وجيوش ثلاثة ، هي البريطانية والتركية والمماليك . وكان تعداد هذه الجيوش المحتلة يربو على ٢٠ ألف انكليزي و ٤٠ ألف تركي و ٤ آلاف مملوك . ويروي المؤرخ الجبرتي ان المحتلين نهبوا دكاكين واجبروا الحرفيين على دفع الضرائب بلغت اربعة اضعاف ما كانت عليه سابقا واغتصبوا النساء في شوارع المدن ، ونهبوا و ذبحو ، على قارعة الطريق ، واستولوا على السفن المحملة بالبضائع فخلت القرى من السكان واهملت الزراعة واشتد التذمر في البلاد ضد المحتلين . بالاضافة الى ذلك ، نشأت خلافات في معسكر المحتلين ، اذا كانت تركيا تسعى الى المحافظة على مصر، اما انكلترا فكانت تريد الاستيلاء هي بنفسها على هذه البلاد مع العلم انها كانت تعتمد على المماليك في صراعها ضد الاتراك . وكان يتوجب على باشا مصر، الذي كانت قد عينته الدولة العثمانية ، ان يعيد الى المماليك ممتلكاتهم ومناصبهم في الدولة وذلك بامر من الجنرال الانكليزي . غير انه كانت للباشا العثماني تعليمات اخرى من حكومته ! فلقد كان في نية (السلطان سليم الاول) (٢٢) ، من اجل تعزيز سلطته في مصر التخلص بصورة حاسمة من المماليك المتهورين العصاة (٢٣) ونجح الاتراك في ايقاع المماليك في الشرك . فابادوا بعضهم واسروا البعض الآخر ، وعندما تدخل الانكليز هددوا بقصف القاهرة ، فاضطر الباشا التركي الى اطلاق سراح (٢٥٠٠) مملوك وتسليمهم الى القيادة الانكليزية وعندما انتهت السيطرة الانكليزية على عجل بموجب شروط معاهدة (صلح اميان) التي وقعت بين انكلترا وفرنسا . وعليه قرر الباشا التركي استئناف الحرب ضد المماليك على اثر مغادرة الانكليز مصر، وفي عام ١٨٠٢م ارسل وحداته الى الوجه القبلي حيث كان قد تحصن المماليك ، غير ان المماليك استطاعوا تقوية انفسهم ، اذ عقدوا حلفاً مع الشيوخ البدو ، كذلك شكلوا عدة وحدات من النوبين ، وهكذا تمكنوا من سحق الاتراك

في المعركة التي دارت رحاها بالقرب من دمنهور ، ٥ آلاف تركي (من اصل ٧ آلاف) ، سقط منهم في المعركة (٦٠) مملوكا وكنتيجة لهذا الخلافات استمرت التمردات العسكرية في القاهرة . وحكم مصر ، في غضون شهر واحد فقط ، ثلاثة باشوات ، وانحازت الى المماليك وحدة كبيرة من الجيش التركي - وهي وحدة الالبانين ، وفي ايار/ ١٨٠٣ م استولت قوات المماليك والالبانين الموحدة على القاهرة وحكمت البلاد سلطة ثلاثية مؤلفة من المماليك ومن القائد الالباني محمد علي باشا . (٢٤) كانت القوة العسكرية في مصر لما تولاهها محمد علي اخلاطا من الالبانين (أرناؤوط) (٢٥) والدالة المغاربة و (الانكشارية) (٢٦) .

ومن جرى مجراهم ونظامهم الحربي النظام القديم الذي كان متبعا في الازمنة السالفة عند الدولة العلية العثمانية قبل القرن الماضي ، وكانت مصر وقتئذ للاتراك اسما والمماليك فعلا (٢٧) .

ودولة المماليك هي اخر دولة العالم العربي في العصور الوسطى واشدها غرابة ، وقد عقت الدولة الايوبية المنسوبة لصلاح الدين وتألفت من أسرتين البرجية والجركسية (١٣٨٢ - ١٥١٧ م) والبحرية (١٢٥٠-١٣٨٢ م) فالمماليك كانوا كما يدل اسمهم ارقاء من مختلف الاجناس والعناصر شكلوا حكومات عسكرية في بلاد هم فيها غرباء ، ومن ناحية عنايتهم بالفن والعمارة تضاهي اهم دولة متمدنه بحيث صارت القاهرة من اجمل المدن العالم الاسلامي . ولم تكن السلطة في دولة المماليك وراثية بل كانت من حق الاقوى ، وبدأت المنافسة بين الدولة العثمانية والمماليك الى نشوب الحرب في المعركة برج دابق بين جيوش المماليك بقيادة قانصوة الغوري (١٥٠٠-١٥١٦ م) وجيوش الترك سنة ١٥١٦م بالقرب من حلب انتصر فيها العثمانيون على المماليك لان تجهيزاتهم بالمعدات الحديثة بينما كان الجيش المصري لفيما من البدو والسوريين لم تكن لهم خبرة في السلاح الحديث (٢٨) كانوا المماليك القوة الهائلة التي تحمي العرش ، فهم لذلك فرسان ومغاوير وابطال شجعان ، هم جيش الدولة او الطبقة العسكرية تقننوا في اساليب الحرب وأنواع الأسلحة ، وعاشوا حياة عسكرية خاصة بمصر . بينما كانت

الحرب قائمة بين المسلمين والصليبيين في مصر حتى لا يقع الاضطراب في صفوف الجند ، واستمرت هي في وضع الخطة الحربية والاشراف على تنفيذها ومراقبه سير المعركة ومد القواد بارائها وبذلك انتصر المسلمون على الصليبيين في فارسكور سنة ٦٤٨ هـ ونستطيع القول ان عصر المماليك كان له الأثر الكبير على حياة المصريين ، لما فيه من ظروف ظهرت جليلة في ادبهم وسلوكهم وعاداتهم وظهورهم على المسارح السياسية ، واذ ان الاكثار من جلب هؤلاء المماليك وطريقة تربيتهم وعزلتهم ، واغداق الاموال الطائلة على تنشئتهم نشأة عسكرية تخدم مصالح الحكام . وتتغير الحياة في عهد المماليك فلا هي عسكرية صرفة ولا مدنية خالصة ، حينما نرى ان هؤلاء المماليك يصدون غارات الصليبيين والمغول .

واذا كان الايوبيون وغيرهم من الولاة والخلفاء ارادوا من المماليك ان يكونوا حماة عروشهم ، فالاولى بسلاطين المماليك ان يضاعفوا من تلك الفئة ويكثروا من جلبها ، وهنا نرى ان سلاطين المماليك يهتمون بهؤلاء الاجلاب ويهتمون بتربيتهم ، وازاداد عدد الرقيق في عصر السلاطين المماليك زيادة بالغة ، وربما كان مرجع ذلك عدا تكوين جيش يقوي دعائم الملك ، ويدافع عن مصالح البلاد ضد الخطر الخارجي ان هؤلاء السلاطين الاجانب قد ارادوا ان يكون لهم عصبية يعتمدون عليها في حكم البلاد ، وخاصة ان معظم وظائف الدولة الرئيسية كان يحتلها امراء المماليك اذهم الطبقة الحاكمة ^(٢٩) ولما تولى المماليك حكم مصر كان نظامهم الحربي قائم على الاقطاع الحربي ، فعندها يبلغ المملوك سن الرشد يشرع في تعلمه فنون الحرب الممثلة الرمي بالنشاب واللعب بالرمح وركوب الخيل ، وبعد ذلك ينتقل هذا المملوك في سلك الخدمة بحيث يتدرج في رتبها من جندي الى امير ويتراوح اقطاع الجندي ما بين ٥،٧،١٠ دينار في الشهر ، بينما يتراوح اقطاع الضابط فيما بين زمام قرية ونصف ، ويصل اقطاع الامير ما بين قرية وعشرة قرى . ولقد ادخل المماليك بعض الانظمة الخاصة الجيش منها (ديوان الانشاء) وهو الذي يمنح الجند ورقة تحدد حدود اقطاعه ويسمى هذا الديوان بعد ذلك (بديوان الاقطاع) . وانشي ديوان الجيش كان مسؤولا عن التجنيد ، وهذا فضلا عن ديوان مستوفي الجيش ، وهو الذي يقوم بتحديد مرتبات الجند . وتكون الجيش في عهد المماليك من ثلاثة فرق اساسية تمثل الاولى طائفة المماليك السلطانية اي مماليك السلطان الموجود في الحكم

، ويمثلون اعظم الجند وتضم الثانية ممالك الامراء اي الممالك الذين استشارهم الامراء المحيطون بالسلطان ، اما الفرقة الثالثة فتتمثل طائفة أجناد الحلقة وهم الذين يمثلون ممالك السلاطين والامراء السابقين . (٣٠)

المبحث الثاني : بناء الجيش :

شرع محمد علي فوراً منذ اللحظة التي تسلم فيها الحكم بإنشاء جيش نظامي . ولكن قلت الكوادر والاسلحة جعلت الامور تسير ببطء . وكان العساكر الالبانيون نواة الجيش الجديد ، ولم يجندوا المصريون فيه وذلك بتحيز الاتراك والممالك كان لا يزال قويا جدا ومع ذلك فقد قرر محمد علي تجنيد الفلاحين المصريين في الجيش بعد الحملة على الجزيرة العربية (١٨١١- ١٨١٩م) وخاصة الحملة على مورة (١٨٢٤ - ١٨٢٨ م) وكان فيها كثير من الجنود الافريقيون .

قام محمد علي في السنوات الاولى من حكمه بتدريب الجيش اخصائيون عسكريون اجانب . وبعد ذلك اسس معسكرا تدريبيا في أسوان تحت اشراف مدربين فرنسين وايطاليين ، وقام البابا بفتح المدارس الحربية لاعداد القيايين المصريين ، كمدرسة مشاة في ديمياط ومدرسة الخياله في الجيزة . (٣١) ومدرسة المدفعية في طرة (بالقرب من القاهرة) وعام ١٨٢٦م أنشأت أكاديمية الأركان العامة ، وترجمة الأنظمة العسكرية الفرنسية الى العربية وكانت كافة تنظيمات الجيش على شكل جيش نابليون . حيث انها مجهزة بمدفعية ، وكانت تشتري الاسلحة من اوربا . ويصنع قسم منها في مصر . وفي الثلاثينيات من القرن التاسع عشر اتسع حجم الجيش المصري النظامي بحيث عام ١٨٣٣ م كان يضم ٣٦ فوج من المشاة ، وكل فوج يحتوي على ٣ الاف جندي واربعة عشر فوج من الحرس يبلغ تعددها ١٥٠ الف جندي و ١٥ فوج من الخياله تتكون من (٥٠٠) خيالة، و ٥ افواج من المدفعية تعدادها (١٠٠٠) جندي وبهذا يكون المجموع العام (١٨٠) الف جندي . بالاضافة الى وحدات غير نظامية تبلغ اربعين الف شخص . (٣٢) وفي بيان عن ميزانيه الجيش ايام محمد علي ، نشره عمر طوسون انها كانت ١.١٥٦.٩٥ جنيها و (٣٠٠) الف جنيه للبحرية . وهذا من ميزانية

الدولة التي بلغت في هذا العام (سنة ١٨٣٣ م) ٢.٥٢٥.٢٧٥ جنيها أي ان ميزانية القوات المسلحة قاربت نصف الميزانية ، وهذا غير ما كان ينفق على الصناعات الحربية البحرية . والقوات المسلحة في عهد محمد علي باشا ، وفي ازهى اوقاته ، زادت الى ١٢٥ الف رجل ولكنها كانت موزعة على نطاق واسع ، بحيث لم يزد ما يبقى منها بمصر ، اما الباقي ففي السودان الى الحجاز الى اليمن الى سورية الى كريت . وكانت القوة التي يستقيها محمد علي في مصر لحراسته منتقاة من رجال موثوق بهم تماما خشية ان ينقضوا عليه . وقد حدثت محاولات لاغتيال محمد علي من افراد الشعب . ولكنها لم تنجح ، وهكذا يمكن القول ان الفلاح المصري تحول الى (خير اجناد الأرض) كما وصفه الاقدمون ، وتحول الى امهر الصناع وذلك بمجرد وجود حكومة مركزية قضت على عصابات المماليك ، وفتحت الطريق امام مهارات الشعب لكي تؤدي دورها التقليدي في بناء الحضارة ^(٣٣) ادرك الباشا ان نجاحه في تحقيق مشروعاته الواسعة وأخصها توطيد حكمة في مصر واقرار علاقتها بالباب العالي يتطلب قوة عسكرية منظمة على الاساليب الاوربية ومزودة بأسلحة حديثة ، وقيامه على امداد هذه القوة العسكرية بما تحتاج اليه من عتاد ولباس وغذاء ، وما يحتاج اليه افرادها من دوام التدريب والتعليم واكتمال الصحة . لم يكن لدى الباشا في اوائل حكمه - سوى فرقة الالبانية ، وقد كانو عدته في التغلب على خصومه وقد فتحوا له بلاد العرب والسودان ، وهم جنده وعترته ، ولكنهم ابوا ان يخضعوا لأساليب التدريب الحديث الذي اراد محمد علي ان يأخذهم به . فثاروا عليه في القاهرة واعتصموا في احدى حروب بلاد العرب في سنة ١٨١٧ م . ولم يكن الباشا مطمئنا الى اخلاصهم له واعتمد على الزمن في التخلص من نفوذهم . وفي خلال ذلك بدأ محمد علي يعمل على اساس جديد : بدا بتكوين الضباط لأنهم عصب الجيش ، واعد لهذا الغرض ممالكيه ومماليك ذوي قرباه وكبار قواده اما الجند فيقدمون من بلاد السودان ، اما المصريون فليتركهم يفلحون الأرض ويقدمون له من خيراتها . ^(٣٤) ونشط الكولونيل (سيف) - سليمان باشا الفرنسي - في اعداد الضباط في اسوان، وملئت معسكرات التدريب بشباب السودان، ولكن العنصر الاساسي في الجيش اصبح من المصريين، ونجحت التجربة وتضخم الجيش المصري، واثبت المصريون انهم يملكون الصفات اللازمة لتكوين الجيوش الحديثة. وكانت الحرب في

مورة اول حرب اشترك فيها الجيش المصري في عهد محمد علي، ثم تلتها وقائع الشام العظيمة، وقد ارسلت منه حاميات الى بلاد العرب والسودان وكريت.

استقدم الباشا من فرنسا بعثة عسكرية على رأسها الجنرال (بوابيه) لتدريب الجيش وانشاء المدارس الحربية لتخريج الضباط لمختلف الاسلحة.

لاشك في ان المجهود الضخم الذي بذله المصريون لتحقيق مشروعات الباشا العسكرية كان مرهقا، حيث الاراضي الزراعية يعوزها الاصلاح والتعمير ، والمصانع الحديثة تحتاج الى العمال ، ونظام التجنيد الاجباري، كل هذه السلبيات لاتعادل النتائج الايجابية التي انتجها تكوين الجيش المصري الذي ادى تغيير اجتماعي خطير، اذ غرس في نفوس المصريين مبادئ النظام وحب الوطن والدفاع عنه، واكسبت الحياة العسكرية الفلاحين عادات حسنة، كالعناية بنظافة البدن واللباس والمسكن والمأكل^(٣٥).

رأى محمد علي منذ كان يقاتل الفرنسيين في (الرحمانية) فضل النظم الحربية الحديثة وعرف قيمتها عند مساعدة (دورفي) له أثناء حملة (فريزر) على مصر سنة ١٨٠٧م فصمم الباشا على ان يسعى ادخال النظام الجديد، واول شيء عمله اقناع قواد جنوده بافضلية الطرق الأوروبية، ولكن لم يأت ذلك ثمرة فبدأ بمشروعه على غير رغبة الجند وبدأ بتمرين احدى الفرق وكان على رأسها ولده اسماعيل . فتحزب الجند والقواد وانتفخوا على الغدر بالباشا، انقضوا على البلد وانتشروا للسلب والنهب، كعادتهم، وسلك الباشا مسلماً جديداً ينطوي على العدل والحكمة، وذلك وفي صبيحة اليوم التالي للنهب دعا السيد محمد المحروقي رئيس تجار العاصمة وامره باعداد قوائم باسماء التجار وتقدير خسائرهم، فطمأن الناس واستبشروا بهذا العصر الجديد. واما معارض الجنود الالبانيين فارسلهم الى ميادين الحرب في بلاد العرب وفي سنار، وبذلك تخلص من جزء عظيم منهم، ولو كان الباشا اتكل على الالبانيين لحرمه السلطان تجنيده جنوده من بلادهم كما حرم المماليك شراء الرقيق من (جورجيا) واوروبا فكان من حسن طالع الباشا ان الالبانيين قاوموا النظام الجديد ولم يقبلوه لانه "ه لكونوا نواة الجيش الجديد لمحمد علي ولقللوا آماله بالنجاح"^(٣٦).

ولما عاد ابراهيم من حرب الوهابيين منتصرا فكر محمد علي على انشاء النظام العسكري الجديد وصادف عزمه هذا حضور (الكولنيل سيف) الى القاهرة فعهد اليه محمد علي في مهمة تكوين الجيش الجديد وكان (سيف) ترقى من جندي صغير في خدمة الجيش الفرنسي مدة الإمبراطورية الاولى الى ان اصبح في سنة ١٨١٥م (ياوراً) او أميناً للمشير (ناي) ولما انهزم نابليون في واترلو اشتغل سيف بالتجارة ثم قدم الى الباشا بخطاب توصية فاختره الباشا فوجد منه اخلص واكفا خادماً له في جيشه الجديد وقام بتدريب بعض اولاد المماليك الذين كانوا في خدمة محمد علي ومعهم ابراهيم ليكون مثلاً حسناً للطاعة والاستفادة.

بدأت تظهر علامات التذمر وأخذ العلماء يغرون الشبان بعدم الانصياع لتعاليم الفرنجة، فرأى الباشا ان خير طريقة لتلاقي الفتنة وتنفيذا لاغراضه هو ان يرسل (سيف) ومعه أربع مائة او اكثر من اولاد المماليك الى اسوان فيدربهم هناك بعيدين عن الدسائس والقال والقليل وكان هؤلاء المماليك من الشبان النابهين اختارهم الباشا ليكونوا بعد ان يتخرجوا نواة الجيش الجديد، فاشتغل سيف بتعليمهم ثلاث سنوات باثناً في نفوسهم روح الاخلاق العسكرية الشريفة ضارباً لهم الامثال دائماً بسيرة نابليون وسير قواده^(٣٧). وانما تأخرت اعمال الري والقناطر والتي تعتبر اهم من غيرها في حد ذاتها وبالنسبة للاهالي ولتكتيثر ايراد المملكة لان غيرها كان في ذلك الوقت اهم منها وهو ايجاد العساكر وتكثيرهم والاحتياج اليهم لتصميم ملكه والامن على نفسه وحماية الوطن، فكانت بالنسبة الى الباشا جميع المنافع العمومية الملكية عرضة وتابعة للعسكرية التي بها تصميم كرسي الديار المصرية لم يلتفت لرواج الزراعة البلدية الا التفاتاً ثانوياً، ولم يصرف عليها في اوائل حكمه الا مقادير غير جسيمة بالنسبة لما صرفه على تاسيس العسكرية ومع قلة الايرادات اذ ذاك فكان يحسن تدبره ويقنن ايراده على قدر مصرفه فلهذا لم تكن تحسينات الترعرع والجسور في بداية حكمه متسعة بل كان يقتصر فيها على الضروري منها^(٣٨).

راى الباشا ان يدربهم على النظام الفرنساوي الذي اتبعه نابليون بونابرت في غزواته واخذته عنه دول اوربا. فحاول ذلك مراراً فعظم على رجاله ولاسيما الاناؤوط وعصوا أوامره فيه لأنهم اعتبروا ذلك بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ولما الحَّ عليهم ثاروا وتجمهروا

الى القلعة يطلبون الرفق بهم فرأى من الدراية والحزم ان يعاملهم بالحسنى فاجابهم الى ما أرادوا واخذ يدخل ذلك النظام رويداً رويداً بالحيلة فانتخب فتیاناً كان قد قبض عليهم في جملة ما قبضه من أموال المماليك الذين ذبحهم وكان قد جعل أولئك الفتيان من حراسة واستبقى صغارهم في القلعة يتربون فيها على جاري العادة من تربية الغلمان المماليك في ذلك العهد استعداداً للخدمة العسكرية او غيرها فكانوا يحفظونهم القرآن ويعلمونهم الخط واللغة التركية والرياضة البدنية فلما عزم على تنظيم الجند انتخب اكبر أولئك المماليك وارسلهم الى الصعيد يتعلمون النظام العسكري الحديث على اساتذة الافرنج ، ثم ارسل غلماناً الى انكلترا لدرس الميكانيكيات وسلك الابحر ونواميس السائلات ، ثم أحس بحاجته الى مدرسة طبية تخرج الاطباء لمعالجة الجنود . (٣٩) وفي اول الامر ، كانت نواة الجيش تقوم على سواعد اقرباء لنائب الملك ، وابناء موظفيه بما لايزيد ٣٠٠ او ٤٠٠ شخص في المجموع ، وشيئاً فشيئاً ، بتأثير (سيف) وما فيه من شجاعة واندفاع سيزداد هذا العدد . ومنذ عام ١٨٢٣م كان في وسع نائب الملك ان يجعل قناصل فرنسا وانجلترا دروفتي وسالت الذين صحبوه الى مصر العليا ، يعحبون بالمناورات التي قام بها ثلاثون الف رجل تعلموا النظام الجديد ، بالاضافة الى اتخاذ قرار يجعل التجنيد يمتد الى اهل البلد انفسهم ، على المصريين ، وذلك انه يختار انشاء جيش وطني ، وهذه المرة الاولى ، على الاقل منذ بداية الزمان التي يحصل فيها المواطن المصري على حق امتشاق السلاح وحتى هذا الحين ، كان الجيش الفاعل في مصر ، غريباً عن اهلها تماماً . كذلك حصل على معونة ومساعدة من حكومة لويس الثالث عشر مجموعة من الاسلحة والاعتدة ، ويبقى الامر الهام هو ان النموذج المعتمد لانشاء هذا الجيش المصري هو النموذج الفرنسي نفسه وكذلك القواعد المتبعة في الجيش الفرنسي بعد ان تمت ترجمة اللغة العربية وبفضل هذا النظام وفي عام ١٨٣٣م يقدر لديه حوالي (٩٨٠٠٠) جندي من المشاة . (٤٠)

اما بالنسبة الى عام ١٨٢٩ م فان (كاد الفين) و(بروخيري) يحصيان الأعداد بصورة اقرب الى اليقين وفيها :

٢٢ فوجاً من مشاة الصف فيها ٤ كتائب من ٨٠٠ رجل ، أي ٣٢٠٠ جندي للكتيبة

٦٤٠٠	فوجان من مشاة الحرس
٣٢٠٠	فوج من المشاة يتكون في سوريا
٨٤٠	١٣ فوج من الخيالة في كل منه ٦ سرايا من ١٤٠ رجل أي ١٤ فوج
١.٩٢٠	فوج من خيالة الحرس
٨٤٠	فوج من الخيالة يتكون في سورية
٣٠٠٠	فوجان من سلاح المدفعية مشاة ، يضم كل واحد ١٥٠٠ رجل
٣٠٠٠	فوجان من سلاح المدفعية من الفرسان
٢٤٠٠	ثلاثة افواج من المحاربين القدماء يضم كل واحد ٨٠٠ رجل
١٠.١٠٠٠ =	المجموع

بيد ان العبد العسكري المفروض من قبل محمد علي على شعبه ، بدا يصبح مرهقا جدا ، اما دعوة المجندين فسوف تعاش من قبل الفلاحين . (٤١)

المبحث الثالث : بناء المدارس والمصانع الحربية :

لما اتسعت دائرة التجنيد استدعى محمد علي من فرنسا طائفة من كبار الضباط ليعاونوه على تنظيم الجيش المصري ، فتكونت طوائف الضباط المصريين على يد المعلمين الاوربيين ، وارسل طائفة من الشبان الى أوروبا لإتمام دروسهم الحربية هناك ، فعادوا الى مصر بعد ان حذقوا العلوم والفنون العسكرية ، وحلوا في المدارس الحربية محل المعلمين الاجانب .

المدارس الحربية :

١- مدرسة اسوان

ان مدرسة (اسوان) هي اول مدرسة حربية اسسها محمد علي باشا على النظام الحديث ، وقد اسست مدرسة حربية اخرى في فرشوط ، ومثلها في النخيلة وأخرى في ايار (جرجا)

٢- مدرسة قصر العين

انشأت سنة ١٨٢٥م مدرسه اعدادية التعليم الحربي بقصر العين ، كانت تعرف بالمدرسة التجهزية الحربية ، وعدد طلبتها نحو (٥٠) تلميذ يعدون لدخول المدارس الحربية والمدرسة البحرية ثم للمدارس العليا الأخرى ونقلت الى ابي زعبل بعد ان خصص قصر العيني لمدرسة الطب وقد زارها المارشال مارمون سنة (١٨٣٤م) فالفى بها من التلاميذ (١٢٠٠) تلميذ ويقول المسيو تجان ان بهذه المدرسة مكتبة كانت تحتوي (١٨٣٧) الى (١٥٠٠) مجلد . (٤٢)

٣- مدرسة المشاة بالخانكة ثم بدمياط ثم بابي زعبل

وجه محمد علي عنايته لتنظيم فرق المشاة (البيادة) في الجيش المصري ، وانشا لتخريج ضباط هذه الفرق مدرسة حربية في (الخانكة) على احدث نظام بلغ تلاميذها (٤٠٠) تلميذ فقسموا الى ثلاثة بلوكات ، يتعلمون فيها التمرينات والادارة الحربية . واللغات العربية والتركية والفارسية ثم نقلت المدرسه الى دمياط سنة (١٨٣٤م) وكان ناظرها ضابطاً من مقاطعة البيمونت بإيطاليا واسمه الميسيو بولوتين كان من ضباط الامبراطورية النابليونية فاستخدمه محمد علي ورقاه الى رتبة قائمقام . ثم نقلت المدرسة الى ابي زعبل (١٨٤١م)

٤- مدرسة الفرسان بالجيزة

ذكر كلوت بك في كتابه ان تشكيل فرق الفرسان في الجيش المصري لم يبدأ بحسب النظام الجديد بعد عودة الجيش من حرب المورة ، وذلك ان ابراهيم باشا قد شاهد في خلال هذه الحرب حسن نظام الخيالة الفرنسيين فأدرك أهمية تنظيم الفرسان ،

وعلى عودته الى مصر شرع في تشكيل فرق الخيالة على النظام الاوروبي واستدعى لهذا الغرض عدداً من المعلمين الاوربيين .

انشأت المدرسة الحربية للفرسان بالجيزة في قصر مراد بك فحول ثكنة جميلة للفرسان ، وتولى تنظيم المدرسة المسيوفان من ضباط الامبراطورية النابليونية والمارشال جوقيون ساتير وتلاميذها من الشبان يتعلمون مناورات الفرسان وحركات المشاة ويلبسون قيافة تطابق ملابس الفرسان الفرنسيين ماعدا القبعة . ويتولى التدريس في هذه المدرسة ضباط لقيادتهم ومدرسون يدرسون لهم اللغتين العربية والتركية . (٤٣)

وكانت المدرسة تتبع نظام دراسة سومور الحربية بفرنسا الا بعض تعديلات طفيفة استلزمها الظروف المحلية ، وفيها استاذة لتعليم اللغة الفرنسية والرسم والمبارزة وترويض الخيل ، وفيها رئيس الإدارة الحربية ، ويتعلم فيها الطلبة فوق ما تقدم استعمال النفير وسائر ضروب الموسيقى المستعملة في فرق الفرسان وطلبتها خليط من الشبان المصريين والترك يتخرجون منها ضباط لفرق الفرسان وكان لهذه المدرسة ناظر يقوم على النظام فيها وله توقيع الجزاءات على من يستحقون العقاب من رؤوسيه وتوزيع الأغذية والعلف ويتصل بناظر الحربية ويتبع اوامره . وقد زار المرشال مارجون هذه المدرسه (١٨٣٤م) وكانى بها اذ ذاك (٣٦٠) تلميذا فاعجب بها وكتب عنها في رحلته مايلي :

((عندما شاهدت هؤلاء الطلبة في الميدان يقومون بالمناورات خيل لي اني أمام طابور من الخيالة عندنا ولن ينقص المدرسة لتصل الى درجة الكمال بعض الدروس في اللغة والرسم وغير ذلك ولكن مما لانزع فيه انها من جهة تنظيم الفرسان لاينقصها شيء فالطلبة يجيدون ركوب الخيل . والمناورات التي يقومون بها تجري بدقة واحكام ونظامهم وهندامهم على احسن ما يكون والروح المعنوية فيهم على مايرام، فهم جنود بكل معاني الكلمة، وحملة الابواق يؤدون عملهم باتقان)).

٥- مدرسة المدفعية بطرة

شكلت المدفعية النظامية في الوقت الذي نظمت فيه المشاة على الطراز الحديث وتولى تنظيمها جماعة من الضباط الفرنسيين وعاونهم في العمل ضباط من المصريين وفي مقدمتهم الضابط القدير (أدهم بك باشا) الذي أسس ترسانه القلعة وتولى إدارة المهمات الحربية ثم راسه ديوان المدارس (وزارة المعارف العمومية)

وانشأت في (طره) مدرسة حربية للطوبجية (المدفعية) تولى إدارتها ضابط إسباني يدعى الكولونيل (الميرالاي) أندي أنطونيو دي سيجرا وهو الذي عرض على محمد علي إنشاءها لتخريج ضباط المدفعية^(٤٤) للجيش المصري، وعرض مشروعه أيضاً على إبراهيم باشا قائد الجيش العام فنال تأييده من ثم انشأت المدرسة على الوضع الذي اقترحه الميرالاي سيجرا، وقد ذكر العلامة علي باشا مبارك هذه المدرسة في كلامه عن (طره) فقال: "وكان بطره مدرسة الطوبجية وهي مدرسة جليظة من إنشاءات العزيز محمد علي تربي جملة من الأمراء برعوا في فنون الطوبجية"

وقد اختير لهذه المدرسة من التلاميذ ثلثمائة من خريجي مدرسة قصر العين الإعدادية أخذوا يتلقون فيها المدارس الحربية واللغتين العربية والتركية والحساب والجبر والهندسة والميكانيك والرسم والاستحكامات، ويتمرنون على الرمي بالمدافع على يد معلمين حربيين. وكان للكولونيل سيجرا نفسه يعلمهم دروس الرياضة والرسم. وقد تقدموا في علومهم وبرهنوا على كفايتهم في الحرب السورية وتبارت المدفعية الثقيلة والمدفعية الخفيفة في النشاط والجدارة قال مانجان: ضباط المدفعية المتخرجون من هذه المدرسة متعلمون متقنون.

ولم يغرب عن بال محمد باشا أهمية المدرسة فأراد أن يرى بنفسه سير التعليم فيها فزارها واختبر شؤونها فابدى ارتياحه وسروره من استأذنتها وتلاميذها ومعداتنا. وكافاً الكولونيل سيجرا بالإنعام عليه^{٢١} بكوية مع لقب لواء وإحق بالمدرسة اورطة للمدفعية المشاة وأورطة أخرى لمدفعية مركبان. وانشأ لها ميدان لضرب النار للجنود والتلاميذ. وضع به أربع وعشرين بطارية من أهداف للتمرين عليها.

وكان للمدرسة مشفى خاص يديره طبيب يساعد صيدلي لمعالجة المرضى^(٤٥)

٦ - مدرسة اركان الحرب بالخانكة ، انشأت هذه المدرسة بالخانكة بناء على اقتراح (عثمان نور الدين باشا) بالقرب من المعسكر العام للجيش ، وقد ذكرها الميسو دور من كتابه عن التعلم العام بمصر وكلوت بك ولم يذكر تفاصيل عنها . ويسمىها رفاة بك رافع مكتب الرجال بالخانكة .

٧-مدرسة الموسيقى العسكرية

قرر محمد علي تنظيم الجيش المصري على مثال الجيوش الاوربية من كل وجه فأمر باعداد طائفة من الموسيقيين لكل الآلات . احضر المدرسين الاوربيين لتعليم المصريين الموسيقى الافرنجية الحربية . فانشا في (الخانكة) معهدا لتعليم الموسيقى الافرنجية الحربية فانشا في (الخانكة) ومعهدا لتعليم الموسيقى يسع ١٣٠ تلميذا تولى التدريس فيه اربعة من الموسيقيين والفنيين وعين الميسو كارية مدير له . وكانت تدرس فيه ايضا اللغة العربية على يد أساتذة مصريين وقد أبدى التلاميذ المصريين اتقاناً وبراعة ونبوغاً في فنون الموسيقى شهد بها الافرنج . قال الميسو مانجان في هذا الصدد . ان اولئك الشبان الفلاحين قد ابدوا من السهولة في توزيع الألحان الصعبة من النوتات ماداهش العارفين بالفن وخاصة الافرنج الذين اجتذبهم الى وادى النيل شهرة محمد علي وهذه المدرسة كانت تخرج الموسيقيين الذين يحتاج اليهم الجيش المصري ولكن الدكتور كلوت بك لاحظ في كتابه ان برنامج المدرسة قام على قاعدة خاطئة . ذلك انه تضمن نقل الموسيقى الاوربية بنغماتها وأناشيدها الأوربية الى نغمه شرقية لم تتعود الألحان الأوربية فلم تؤثر في نفوس التلاميذ التأثير الفني المطلوب ولم تتحرك لها قلوبهم . وان الواجب كان يقضي باحضار فنانيين عازفين بالموسيقى العربية ليؤلفوا منها ومن الالحن الأوربية موسيقى خاصة تتأثر لها نفوس^{٢٣} بن . (٤٦) ويقول ان الحكومة في عهد محمد علي ذاته قد الغت معهد الموسيقى بالخانكة مع انه خرج عددا لا بأس به من الموسيقيين القادرين واستعاضوا عنه بان جعلوا لكل من الجيش معلما اوربيا . ولكن لم يكن من الميسور لمعلم واحد ان يضطلع بهذه المهمة لذلك لم تصل الموسيقى الحربية في مصر الى مجارة الموسيقى الاوربية

٨- مصانع الأسلحة والمدافع بالقلعة

رأى محمد علي ان الاعتماد على جلب السلاح من الخارج يعرض قوة الدفاع الوطني للخطر ويجعل الجيش والبلاد تحت رحمة الدول الاجنبية ، لذلك بذل جهده في انشاء مصانع الاسلحة في مصر ، فأسس قائد المدفعية ادهم بك ترسانه القلعة لصنع الأسلحة وصب المدفع وتولى إدارتها وتطورت واتسعت أرجاء المعمل فأصبحت تمتد الى قصر صلاح الدين الى باب الانكشارية الذي يطل على ميدان الرميطة ، وكان بها ٩٠٠ من العمال لصنع الاسلحة ، ويصنع فيها كل شهر من ٦٠٠ الى ٦٥٠ بندقية ، تتكلف كل بندقية اثني عشر قرشا مصرياً

وكان بها قسم خاص لصنع زناد البنادق ، والسيوف والرماح للفرسان ، وحقائب الجنود ، حمائل السيوف ، وكل ما يلزم لتسليح الجنود من المشاة الى صناديق البارود ومواسير البنادق.

٩- معمل صب المدافع : كان اهم مصانع الترسانه واكثرها عملا ، تصنع فيه كل شهر ثلاثة مدافع أو اربعة من عيار اربعة وثمانية ارطال ، وتصنع فيه احيانا مدافع الهاون ذات الثماني بوصات ومدافع قطرها ٢٤ بوصة ولا يقل عمال هذه الترسانة عن ١٥٠٠ عامل وتستهلك فيها كل شهر كمية عظيمة من الفحم والحديد . اما بالنسبة الى مخازن البارود والقنابل فقد اعد لها محمد علي مكانا خاصا على سفح المقطم . (٤٧)

الاسطول البحري :

اهتم (محمد علي) باتخاذ سفن جديدة اخرى لتعزيز قوته البحرية فوجه عنايته اولا لتشييد دار صناعة مهمة مع ما تحتاجه من المعامل والمصانع لانشاء وترميم السفن . وكان المشروع في ذلك سنة ١٨٣١م من مدينه طولون مهندسا ماهرا يدعى (سريزي) جعله مهندساً .

وكان يدير الصناعة المذكورة خمسة قزاكات أي مزلاقات (احواض البناء) ، ورتبوا لها الصنائع من كل نوع ، وكانوا تحت ملاحظة الحاج عمر ، وكان لهذا الرجل استعداد ومعرفة طبيعية غريبة في بناء السفن وقد تمكن في السنة الأولى من انشاء

سفينة من نوع القباقي (بارجة مسلحة بالمدافع الثقيلة) ، وجلب كثيرا من الشبان المصريين من جميع المديریات لتعليمهم صناعة السفن وما يلزم لها من الآلات ووزعهم على المعامل ، فاختصا كل جماعة منهم بفرع من فروع انشاء السفن . ونبغ كثير منهم في هذه الاعمال حتى بلغوا درجة عظيمة . وحصلت مصر به في وقت قليل . على عدة سفن حربية عوضت بها أساطيلها التي فقدت في واقعة نوراین ، بل وزادت قوتها الحربية أضعاف ما كان لها . (٤٨) والحاصل ان صناعة انشاء السفن بالاسكندرية وصلت لدرجة تضارع في الجودة والمتانة سفن البلاد الاوربية وصار في امكان مصر صناعة كل ما تحتاجه السفن . وكان المشتغلون بانشاء المراكب واصلاحها . يبلغ عددهم (٨٠٠) نفس من الاهالي الذين تخرجوا على ايدي مهرة المعلمين من الاوربيين واتفق منهم نحو ١٦٠٠ صناعه انشاء السفن استغنت بذلك مصر من ابتياع سفن من الخارج . وفتح مدرسة لتعليم نحو اثني عشر الفا من الجنود الاعمال البحرية ، كما ارسل بعثة من الشباب المصري لتعليم الفنون البحرية ، حيث درسوا قيادة السفن ، وعندما ضربت الدولة الاجنبية حصارا فنيا حول مصر لأنها لا تشتري سفنها منها ، واغروا الفرنسي (سربزي) على الاستقالة من عملهم في البحرية . قام هؤلاء المصريون بالمهمة بجد ونشاط واتفقوا حتى بلغت عمارة السفن المصرية درجة واهمية عظيمنتين جدا ، وعلى الرغم من تفوق المصريين في هندسة السفن وقيادتها الا ان محمد علي كان يركن في القيادة العامة وقيادة السفن ورئاسه الورش الفنية الى عناصر اجنبية او البانيه (٤٩) .

الفصل الثالث : سياسة محمد علي في بناء الجيش :

المبحث الاول : الخطط العسكرية :

لقد خطط محمد علي باشا سياسيا في بناء مؤسسته العسكرية الحديثة التي استعان بالخبرات الفرنسية لتدريب جيش ضخم لم يقصر على المصريين فحسب بل شملا الافارقة السودانيين ، ولم يات ذلك البناء الا بعد اجراءاته التحديثية في التحولات الاجتماعية التي تغيرت بعدها البنية الاقطاعية .

لقد بدء بمحاولاته في التغيير الاجتماعي سبلا من سبيل تكوين الدولة الحديثة ، وليس العكس مستفيدا من تجربته التاريخية المريرة التي وقع فيها السلطان سليم الثالث ومصطفى باشا البيرقدار اللذان ذهب ضحية عام ١٨٠٨ م على ايدي مراكز القوى الرجعية ، وعلى راسها الانكشارية التي كانت تمثل روح القرون الوسطى واعراقها ، ويقابلها بالمثل في مصر اولئك المماليك الذين استطاع الباشا بذكائه أن يتغذى بهم قبل أن يتعشوا به أما مثله الأعلى فكان (القيصر بطرس الاكبر) (٥٠) ، اذا كان يحلو له تشبيه نفسه بمصلح روسيا العظيم ، وقد رسم المزيد من اعماله على النفس الخطى التي خطاها بطرس الاكبر

وفي عام ١٨١٤ م انشا الباشا الحرس الوطني وهو نوع جديد من المنظمات العسكرية على نسق الحرس الوطني الفرنسي وكان القصد منه هو ان يكون مدخلا للجيش وان يهيء الفلاحين المصريين للخدمة العسكرية وجرى الانخراط في هذه المؤسسة بحماس لا بأس به وقام عدد من الشيوخ البارزين بارتداء زي النظام لاثارة بعض الحماس بين الفلاحين . (٥١)

لان محمد علي باشا تأثر تأثيرا كبيرا بالطريقة النابليونية ، حيث كان بونابرت متفوقا في عقله ، وفي معرفة المبادئ التي طبع تطبيقها بطابع العبقرية .

ان معرفته بالناس واطلاعه على الأنظمة مكنّاه من المزج والتركيب ، وهما (هبة الهية) في حقل الاستراتيجية والتكتيك اللذين تبعد دراستهما عن ان تقدم مناورة نموذجية بل انها تعرض اعظم امثلة توضيحية في التاريخ العسكرية الحديث . (٥٢) حيث كانت حملة نابليون الى مصر ذات اثر عظيم في نفوس القوم في مصر والشام افهمتهم ان زمان عنتره العبسي قد ولى وان السيف لا ينفع أمام المدفع وان في الدنيا طرقا جديدة اصلح من طرقهم ، هذا ما تولاه الباشا في

التخطيط والاعداد للمؤسسات العسكرية من خلال استمالة العنصر العربي حتى يعتمد عليه في محاربة الدولة التركية وكاد ينجح لولا انه طمح في الاستيلاء على الاناضول وغيره من ولايات الدولة فخاف شره الاوربيين لئلا يؤسس دولة عربية متحدة تقوم مقام الدولة التركية المنحلة والتي كانت العوبة بايديهم . (٣٠) وفي سنة ١٨٤٥م زار نجدا بحاثا فنلندي سويدي يدعى (جورج اوغسطس فالين) للقيام ببعض الدراسات اللغوية وذلك بامر محمد علي باشا بعد ان اخفق في مساعية للاستيلاء على الشام للقيام بمهام سياسية في مناطق جبل شمر .

أدرك محمد علي باشا الامكانيات التي كانت لهذه الصلة الثقافية الاولى فشرع في حركة التعليم بدعوة الضباط من الفرنسيين وغيرهم من اهل اوربا لتدريب جيشه ، بل ذهب الى أبعد من ذلك فارسل بعثات من الطلبة للدرس والتدريب في اوربا . وقد جرى في ذلك على منوال الاتراك الذين سبقوه في هذا السبيل ، وكانت نقطة الاختلاف في كلتا الحالتين قضية التعليم العسكري - ولكن اللغة وهي من متطلبات التدريب العسكري اذا اتقنت كان فيها المفتاح ل ذخائر المعرفة - الفكر الغربي في هذه الحالة وما فيها من المبادئ الوطنية . (٣١)

المبحث الثاني : حروب محمد علي باشا :

بدا بناء الإمبراطورية المصرية في افريقيا مع غزو السودان على محمد علي سنة ١٨٢٠م . وقد كان الغرض من الغزو جلب ثروة السودان الى مصر ، بما فيها ايد عاملة لتجنيدها في الجيش المصري وبيعها في أسواق الرقيق الداخلية ، ومن الذهب ، وماشية ، وعاج وصمغ ، ومختلف المحاصيل الزراعية . وقد تأسس الحكم المصري ، نتيجة لهذا الغزو ، في معظم السودان الشمالي . الا ان الادارة المصرية في عهد محمد علي لم تتجح في مد حكمها بعيدا فيما وراء الأقاليم العربية الرئيسية فقد احتلت ووضعت فيها الحاميات أثناء حملات الفتح الاولى . ففي الغرب ظلت سلطنة دارفور مستقلة . وفي الشرق ادى التقدم داخل اقليمي تاكا (كسلا) والقونج fung الى تورط المصريين في اشتباكات مستمرة مع الاحباش على طول المنطقة الممتدة من البحر الأحمر الى نهر السوبات ، والتي تبلغ سبعمائة ميل . وهي منطقة حدود لم تكن محدوده ولم تحكمها تعاقدات بين الحبشة والسودان .

اما في الجنوب فان صعوبة الملاحة في منطقة المستنقعات التي تغص بالنباتات في منطقة أعالي النيل ، وعداء القبائل التي تعيش على جانبي النهر ، قد اوقف امتداد النفوذ المصري الى الارض المجهولة الواقعة في اوساط افريقيا والتي كانت تمثل المستودع الكبير للقوة البشرية والافياء الذي كان يغذي تجارة الرقيق والعاج .

وفي سنة ١٨٢٠م حذر (هنري سالت Henry Salt) القنصل البريطاني العام في مصر ، والذي كان من قبل قنصلا في الحبشة ، محمد علي من اية محاولة لغزو الحبشة اثناء غزو السودان . وقد استجاب محمد علي لهذا التحذير . ولكن الاحتلال المصري للسودان أدى الى حالة دائمة من التوتر بين مصر والحبشة على طول الحدود المتنازع عليها . (٥٥) ماذا يعمل الباشا وقد عاد اليه جنوده الالبانيون منتصرين من بلاد العرب أيسمح لهم بالإقامة بالقاهرة فيعيدوا عهد الثورات والنهب والسلب ويشغلوا عن اصلاحاته وربما وقفوا امام مشروع النظام الجديد موقفهم سنة ١٨١٥م لاشك في ان السياسة تحتم عليه ان يرسل هؤلاء (أرناؤوط) الى ميدان جديد فيستريح من مشاغلهم ويقلل من عددهم . ففكر في تجهيز حملة السودان ليطارد بقايا المماليك الذين استوطنوا اقليم دنقله ونصبوا انفسهم فيه حكاما وكان الناس يتحدثون في ذلك الوقت والباشا يعتقد ايضا ان في السودان مناجم غنية بالذهب والمعادن النفيسة، فظن الالبانيون ان هناك منجماً عظيماً يجب الا يفلت من بين أيديهم فرحبوا بفكرة الباشا، بالاضافة الى حاجة الباشا الى استيراد جنود جديدة لجيشه الجديد جعلته يطمع في فتح الاصقاع المجاورة لمصر كي يتمكن من ادماج شبان تلك البلاد في جيشه ، كذلك ان يبسط سلطانه على سواحل البحر الاحمر الغربية، واهتمامه وعنايته بأمر النيل ، حيث الغرض من الحملة استكشاف منابع النيل، وارسل الباشا مع الحملة علماء فرنسيين ليمدوا ابنه اسماعيل قائد الحملة بالمعلومات الجغرافية والخاصة بالتعدين(٥٦).

وعليه ومن اجل المحافظة على الانجازات التي بناها محمد علي باشا، وحتى يسيروا اولاده على نهجه ويبقى الملك محصورا بهذه العائلة وخاصة ابنه اسماعيل باشا، حيث استطاع في اشهر تعد على الاصابع، من الاستيلاء على اثني عشر اقليما ومملكة بجيش صغير لايتجاوز عدده اربعة الاف عسكري حرموا كل شيء حتى المؤن الغذائية، في رحلته اعماق افريقيا العليا

من سنة ١٨١٩م الى سنة ١٨٢٣م . وكان الوحيد الذي استطاع بما توافر له من تلك المزايا ان يرفع علماً شرقياً على مرتفعات الجبال التي لم يستطيع الفرس ولا الرومان ان يصلوا اليها . ولقد اشترك بعض الاروبيين في اعمال هذه الحرب وتكبدوا مشاقها، فلا احد منهم الا لهج لسانه بالحمد والثناء على اسماعيل وأطرى باخلاقه الكريمة وكان اسماعيل يباشر بنفسه في مدينة سنار تدريب مدفعيته ، فكان يعمر المدافع بمهارة وحضور ذهن لانظير لهما . وكثيرا ما كان يطلب اليه المسيبو كاليو ليقول له:- (من الواجب ان تتعلموا مثلي القيام على تدبير المدافع، فقف اذن بجواري في المعركة المقبلة، فاذا شاء حسن الطالع او شؤمه ان تكون الاخيرين بعد فناء الجيش كله فلا اقل من ان نجد وسيلة للدفاع عن انفسنا) (٥٧).

عندما خطط الباشا بالمشاريع من اجل النهوض في تأسيس دولة قوية وفي كافة المجالات الزراعية والصناعية والعلمية والعمرانية، كان لابد من ايجاد مصدر جديد لاعداد المال اللازم لتنفيذ تلك المشاريع، من البحث والتنقيب عن المعادن في السودان. كما ان العلاقات التجارية بين مصر والسودان قد تدهورت الى درجة بعيدة قبل الفتح المصري للسودان، فمن الطبيعي في هذه الظروف ان يشتد نشاط اللصوص وقطاع الطرق وبذلك يؤثر على حركة التجارة بين مصر والسودان، بالاضافة الى الضرائب التي فرضها ملوك وشيوخ السودان من التجار، وبهذا تمكن من تحقيق بعض الأغراض من فتح السودان، فقد هلك كثير من الجنود الارناؤد الذين ارسلو لفتح السودان نتيجة لسوء طقس البلاد وعدم ملاءمته لهم، وبهذا استطاع الخلاص منهم، كذلك المماليك الذين هربوا من مصر للسودان فاضطروا للتسليم لقوات جيش الفتح في (شندي) وفي ميدان التجارة استطاع تحقيق شيئاً من النجاح ، غير انه فشل في تحقيق غرضيه الرئيسيتين من الفتح العبيد والمعادن وخاصة الذهب ويعتقد بعض المؤرخين العرب والاوربيين ان الباشا كان يرمي الى تكوين امبراطورية عربية تضم كل البلدان العربية ، وهذا يعني ان فتح السودان كان مرحلة من مراحل تكوين هذه الامبراطورية (٥٨) .

صمم محمد علي واستعد في هذه المرة للزحف على الديار الشامية وضمها الى بلاده، فاتفق ان بعض الملتزمين من اهل مصر هربوا الى عكا ونزلوا في جوار (عبد الله باشا الجزائر) واليها فراراً من الباشا، فارسل الباشا الى الجزائر على ان يرد اليه الهاربين منه، لكن الجزائر

رفض ذلك ، لذلك اقسام الباشا ان يسير عسكره الى عكا لقتال الجزائر ويضم جميع البلاد الشامية الى مصر وفي سنة ١٢٤٧ هـ في ١٦ جمادي الاولى ، خرجت الجيوش المصرية من القاهرة تريد عكا ومقدمها الامير ابراهيم ومعه سليمان باشا الفرنسي، وكان عددهم زهاء اربعة وعشرين الفا، فساروا الى الصالحية فالعريش فغزة وركب الامير ابراهيم وحاشيته السفر الى يافا ، فلم يدرك يافا حتى استولت عساكره على غزة ويافا بعد دفاع خفيف فسار بهم الى عكا حاصرها براً وبحراً ، وبعد ذلك اقتحموا اسوارها وحصونها . ثم اتجهوا الى حصار بعض المدن الاخرى كصور وصيدا وببيروت ، واشتدت عزيمة المصريين بما نالوه من النصر المتتابع، ثم رسم الوزير عثمان باشا بالخروج في جيش عظيم لقتال ابراهيم واستخلاص ما بيده من بلاد ولاسيما عكا، فلما التقى الجمعان اقتتلا قتالاً عنيفاً فانهمز الوزير عثمان باشا بعسكره شر هزيمة فغنم المصريون ما كان من معسكرهم من عتاد واسلحة وعجل الامير ابراهيم بعسكره الى مدينة حمص يريد حصارها فوقف له الجيش المصري وقاقلوه فهزموه مرة ثانية .^(٥٩)

شكل الاحتلال المصري لسورية (١٨٣١-١٨٤٠م) عهداً جديداً في تاريخ البلاد الثقافي، فقد زعزع ابراهيم باشا سلطة الزعماء الاقطاعيين المحليين وطبق فرض الضرائب المنظمة وارغم الجميع على الاعتراف بحقوق غير المسلمين في الوظائف المختلفة في دوائر الحكومة المحلية، وكان منشوراً سنة ١٨٣٩ م الذي يقول بالمساواة بين افراد جميع الطوائف امام القانون وقد طبق ونفذ حالاً بخلاف المنشورات السابقة التي كانت تصدر عن السلاطين العثمانيين ، ولم يتردد في استعمال القوة مع مسلمين دمشق وحفر الذين اعترضوا على تغيير حالة مواطنيهم الذميين وارغمهم على قبول النظام الجديد، وكان اثر هذه السياسة الجديدة والحرية والامن ان اخذ الاروبيون يفدون الى البلاد اكثر من قبل. وقد اخذ مؤسس مصر الحديثة بانشاء مدارس في ارض وطنه لا للعلوم العسكرية فحسب بل للطب والصيدلة والهندسة والزراعة^(٦٠) .

بالمقابل كان (محمد عبد الوهاب) ^(٦١) الذي ولد عام ١١١٠ هـ ولما شب تفقه وحج ثم اظهر دعوته ، فتقبلها جمع من ابناء نجد والحجاز الى ان توفي ١٢٠٥ هـ ، فاستمر اتباعه في اعمالهم حتى سنة ١٢٢٤ هـ، فكانوا تحت قيادة الامير سعود .

وقد اصبحت حدود مملكتهم من الشمال صحراء سوريا ومن الجنوب بحر العرب ومن الشرق الخليج العربي ومن الغرب البحر الاحمر، فلم ير الباب العالي بدأ من تكليف بطل مصر محمد علي باشا في ردعهم فأجاب الطاعة وجهاز الحملة الا انه خاف من المماليك ان يعودوا الى خلق القلاقل بمصر فعمل على قتلهم وحاصرهم في القلعة واغلقت الابواب وهجموا عليهم بغتة فحاولوا الفرار فادركتهم الجنود بالبنادق من الشبابيك وكان عدد المدعوين للوليمة داخل القلعة من المماليك حوالي اربعمائة فلم ينج منهم الا اثنان ولما خلت البلاد من المماليك سير الباشا حملة بقيادة ابنه طوسون على الوهابيين فركبوا البحر من السويس حتى اتوا ينبع فتملكوها وساروا منها الى صقر وفيها معسكر الوهابيين وقد تاهبوا للدفاع فهاجموهم فانهمز الوهابيين اولا الا انهم ارتدوا على الجيوش المصرية فانهمز هؤلاء تاركين مؤنهم وذخائرهم^(٦٢) . فلما علم بذلك الباشا مد ابنه بجيش فاشتد ازر طوسون وجمع القوتين وسار حتى اتى المدينة فافتتحها فانتشر خبر فتحها في جميع الحجاز.

وفي ٢٨ محرم سنة ١٢٣٠ هـ حصلت موقعة عظيمة بين المصريين والوهابيين ال الامر فيها الى انتصار المصريين، وعندما رجع الباشا الى مصر بعد فتح الحرمين، ارسل ابنه ابراهيم باشا بحملة من القاهرة في شوال سنة ١٢٣١ هـ ونزل في النيل الى قنا في الصحراء الى القصير ومنها ركب البحر الى ان وصل ينبع ومازال في هجوم ودفاع مع الوهابيين الى ان قبض على زعيمهم عبد الله بن سعود وارسله الى والده الذي ارسله في ٢٠ محرم سنة ١٢٣٤ هـ الى الاستانة حيث عذب فيها مدة ثم قتل، وخلع السلطان على ابراهيم باشا خلة الشرف مكافأة له وجعله واليا على مكة وانعم ايضا على ابيه بلقب خان مكافأة لإخلاصه وبسالته.^(٦٣)

وهكذا كسروا شوكة الوهابيين واسترجعوا الحجاز في سنة ١٨١٢م وفي أوائل ١٨١٥ م انتصر الباشا عليهم في واقعة (بيصة) المشهورة، واستولى في السنة نفسها طوسون على

القصيم، وانتهت حركات جيش محمد علي باشا في نجد بعد حملة شاقة باستسلام عبد الله بن مسعود^(٦٤). ومن نتائج هذه الحملة أن استنفذت خزائن مصر ، ولكن الباشا استفاد منها فائدة عظيمة حيث اتخذها مبرراً في تكوين قوة بحرية وفي رفع شأن مصر في نظرة العالم الاسلامي ووضع نواة إصلاحاته العسكرية . (٦٥)

حرب اليونان :

لم يسع محمد علي باشا الا الاذعان لأوامر متبوعه الأعلى خوفاً من ان يؤدي امتناعه على العصيان والاستقلال الأمر الذي ما كانت قواه الحربية تساعد على اتمامه وفي الحال أصدر أوامره باستعداد سبعة عشر ألف جندي كلهم مصريون من المشاة للسفر ، وعدد من الفرسان والمدفعية وعين بكر أولاده مخصص الوهابيين وفتح السودان قائداً عاماً لهذه الحملة ورافقه الكولونيل (سيف) الفرنسي منظم الجيوش ليساعده بمعلوماته العسكرية التي تحصل عليها أثناء وجوده ضمن جيوش نابليون فاستعدت هذه الارسالية للسفر من الاسكندرية تحت قيادة ابراهيم باشا بتاريخ ١٦ يوليو سنة ١٨٢٤م على سفن مصرية ، فسارت السفن الى جزيرة (رودس) للاجتماع بالدونامة العثمانية . ثم ترك ابراهيم باشا فيها سليمان بك الفرنسي مع حامية كافية وقصد هو جزيرة (كريد) فاحتلها . ومنها الى سواحل بلاد (موره) وبعد العناء الشديد تمكن انزال قواته في ميناء (مودون) .

ولم يلبث ابراهيم باشا أن أمد مدينة (كورون) التي كان يحاصرها اليونانيون بالرجال والذخائر بتاريخ ٢٣ مارس سنة ١٨٢٥ م ثم فتح مدينة (ناورين) الشهيرة بعد حصار شديد في ١٦/مايو/١٩٢٥ م وبعد مدة قليلة فتح مدينة ^{٣٣}) وفي ٢٣/مايو/١٨٢٥م واحتل مدينة (تريبولتسا) ثم استدعاه رشيد باشا الذي كان محاصراً مدينة (ميسولونجي) لمساعدته على فتحها وكانت قد أعيتته في ذلك الحيل لوقوعها على البحر ووصول المواد تباعاً من جهة البر بتاريخ ٢٢/أبريل/١٨٢٦م وفي السنة التالية فتح العثمانيون مدينة (آتينيا) وقلعتها الشهيرة (أكروبول) رغماً عن دفاع اللورد كوشوان القائد البحري الانكليزي الذي عين من قبل اليونانيين قائداً عاماً لجيوشهم البرية والبحرية .

وبينما كان ابراهيم باشا يستعد لفتح ما بقي من بلاد اليونان في أيدي العثمانيين اذ تدخلت الدول بين الباب العالي ومتبوعية بحجة حماية اليونانيين في الظاهر ولفتح المسألة الشرقية وتقسيم البلاد بينهم في الباطن . (٦٦)

وبهذه أصبحت نتائج الثورة اليونانية لها أثر جليل وبعيد في أوربا فنجاح الثورة في اليونان كانت الضربة القاضية الى نظام التضامن الأوربي الذي يقوم على حكم أوربا حكماً ملكياً مطلقاً ، كما أن نجاح الثورة كانت ضربة موجعة سدّدت للإمبراطورية العثمانية ونجاح الثورة اليونانية نجحت الروح القومية في أول معركة لها ومن اليونان سوف تنتقل الى بقية أقطار العالم (٦٧) .

وقد بدأت ظهور رد فعل لهذه الثورة عند (السلطان محمودالاول) (٦٨) وذلك باقامة تنظيمات عسكرية جديدة على أساس التجنيد العسكري الإجباري في محاولة للاستغناء عن استخدام المرتزقة وتجهيزها بالأسلحة الحديثة وتدريبها على أحدث الأساليب العسكرية وتغيير نظام الدولة على أساس الاقتباس من الغرب لتقوية قبضة الحكومة المركزية وجابهة أعداء الدولة في الخارج والداخل ، وقد بدأت هذه الحركة الاصلاحية في أعقاب الثورة اليونانية عام ١٨٢١م وإثر الانتصارات التي حققها محمد علي باشا ضد اليونانيين بفضل جيشه الحديث (٦٩).

المبحث الثالث : الأهداف والغايات :

أسهمت المؤسسة العسكرية التي كونها الباشا بادوار عديدة، وعدت على جانب كبير من الاهمية وبخاصة في افريقيا السوداء التي لم ير اهلها أي مظاهر التطور الحضاري المعاصر، فقام هذا الجيش بايمان من انتمائه الى قارته المغلوبة على امرها بالمساهمة الفعالة في نهضة هذه القارة التي كانت بمعزل عن العالم المتحضر ، فلم يكن هناك ادنى صلة بين اواسط القارة الافريقية وبين اوربا ، ولكن الجيش المصري الحديث استطاع ان يكشف الغموض الذي خيم على اواسط هذه القارة بفضل حملات الكشفية العديدة ، رغم هذه الاعمال الحضارية الهامة وما تكبده من خسائر فادحة كبيرة في افراده وعتاده ، الا انه خرج من افريقيا دون ان يجني ثمار جهده ، ولم يكن هذا الجيش هو المسؤول عن هذه الكارثة في اجباره على تخليه عن مواقفه في

افريقيا^(٧٠) واخذت الغايات العسكرية على تحقيق اهدافه السياسية غير انها خلقت في الشعب المصري اثرا عميقا ، فان الخدمة أيقظت الكرامة بين الفلاحين والطبقة الدنيا من ابناء المدن ، وبعث الانتصارات التي ربحوها على حكامهم الاتراك ثقتهم بانفسهم . (٧١) كان طموح محمد علي باشا في ان يقطع لنفسه امبراطورية عربية من بين البلاد التي يحكمها السلطان ، فقد تحطمت اماله حين اصطدمت بمعارضة (بالمرستون) * (٧٢) وان كان قد اوشك ان يحقق هذا المطمح حين فتح بلاد الشام حيث اصبحت خطط محمد علي لاقامة هذه الامبراطورية العربية تلقى عناية عامة الناس ولكن السبب الذي اعترضه في سبيل اقامة الامبراطورية بالإضافة الى السبب الأول بمعارضة (بالمرستون) والسبب الثاني هو فقدان الوعي القومي بين العرب .

وهكذا كان محمد علي الذي كاد ، لولا تدخل الدول الأوروبية ، أن يقبض على زمام الحكم والخلافة ، ويستخلصها من يدي سيده في القسطنطينية ، فيؤسس بذلك امبراطورية عربية قوية ، وعندما طرح السؤال التالي : لماذا ركز محمد علي باشا اهتمامه بشؤون الحرب وحدها دون التفات صادق الى أي ناحية اخرى . والحقيقة ان روح العصر كانت تفرض عليه ذلك فرضاً وتعليه املاء . لقد كان الرجل يعيش في عصر نابليون في عصر الحروب والثورات والانتصارات والهزائم ، في عصر انصرف فيه قوى الدنيا كلها نحو الحروب والجيوش والاساطيل . وماذا فعلت فرنسا في هذه السنوات الاولى من القرن التاسع عشر اعداد الجيوش تنظيمها وتسييرها نحو الميادين . وماذا تعمل بريطانيا غير اعداد الجيوش وتنظيمها وتسييرها نحو الميادين . وماذا تعمل بريطانيا غير تنظيم الاسطول واعداد الجنود وارسالهم يحاربون في نواحي القارة الاوربية.

بل كان قيصر الروس وامبراطور النمسا يعملان هكذا كانت الدنيا الا مجداً حربياً ونظاماً عسكرياً ، بل لم يكن له عن هذا الاهتمام منصرف وهو سليل امة حربية لم تعرف الحياة الا في ظلال السيوف بل لم يكن محمد علي ليدخر لامته من القوة احسن من جيش قوي يرهب به جيرانه.

اما وسائل وغايات محمد علي فأننا نلاحظ ان هناك خلافاً جسيماً بين وسائله وغاياته في كثير من الاحيان فتتظيم البلاد واستصلاح ارضها وتعليم اهلها وتقوية مرافقها شيء .. ومحاولة الفتح والانتساع وانشاء الامبراطوريات شيء اخر والشيطان لايتوقفان بل يتعارضان فكيف ان تنتظم الزراعة ويسود الرخاء وهو لم يبق مواطناً قوياً الا قذف به في ميادين القتال، وكيف يذخر المال للاستصلاح ومن ورائه جيش يحتاج الى ميزانية تعادل ميزانية مصر عشرات المرات وكيف يرقى بنفوس الناس ويرفع معنوياتهم وهو يحصد شبابهم في ميادين الحروب (٧٣) .

الخاتمة :

أسهم الجيش المصري بدور حضاري بارز في انجاز الكثير من المشروعات الاقتصادية التي تتمثل في تعبيد الطرق وتمهيدها، وحفر الترع واقامة الجسور، وكذلك في الاعمال الزراعية، وفي المصانع وغيرها من المشاريع الاخرى . ولم يقتصر العمل على وقت السلم فقط، بل يبدو انه من خلال البحث انه كان يخصص الباشا عدداً من الجنود الذين لا يصلحون للخدمة العسكرية، للقيام بهذه المساهمة في المشاريع المدنية وبالفعل نجح هؤلاء الجنود المصريون في انجاز اعمال كثيرة ليس في مصر فحسب، ولكن في السودان ايضا. فقد ساهم هؤلاء الجنود بصورة فعالة في جلب الماشية السودانية الى مصر، وبخاصة عندما أصيبت الماشية المصرية بالفناء بسبب القحط الذي حل بالارض المصرية وبسبب الحروب الاهلية التي شهدتها مصر في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وبسبب انتشار مرض الطاعون فيما بين هذه الماشية. وكذلك ساهم هذا الجيش في المشاريع الزراعية التي تمثلت في زراعة الاراضي بمحاصيل ليست موجودة في الاقاليم الافريقية عامة والسودان خاصة. وكذلك ساهم هؤلاء الجنود في المشاريع العمرانية التي تمثلت في اقامة المدن في السودان، وفي غيرها من اقاليم افريقيا الشرقية، وفي اعالي النيل. وكذلك ساهم الجيش المصري في نقل البريد ومد خطوط السكك الحديدية السودانية، كذلك تكوين الجيش المصري الذي ادى الى تغيير اجتماعي خطير ، اذ غرس في نفوس المصريين مبادئ النظام وحب الوطن والدفاع عنه وتلقحت العقلية العربية بلقاح الفكر الاوربي الحديث من خلال تسريب الافكار الجديدة في الاقتصاد والسياسة

والاجتماع وغيرها من الاراء الحديثة ذات العلاقة بالديمقراطية العصرية والقومية الوطنية، واصبحت اليقظة العربية التي تمت للشرق العربي ونقلته من عصوره المظلمة بفضل تأثيرات الاوربية الغربية.

المراجع والمصادر

- (١) حميد الجميلي و حميد مجيد هـدو ، موسوعة بيت الحكمة لاعلام العرب في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ج١، ط ١ ، (العراق : بيت الحكمة ، ٢٠٠٠م) ، ص٤٩٩ .
- (٢) الان بالمر ، موسوعة التاريخ الحديث ، ج٢، ترجمة سوسن فيصل السامر ويوسف محمد امين ، (بغداد : دار المامون للترجمة والنشر ، ١٩٩٢م) ، ص٩٥ .
- (٣) جلال يحيى ، تاريخ العالم العربي الحديث ، (بيروت : دار الرائد للطباعة ، ١٩٧٥ م) ، ص٢٣٦ .
- (٤) عبد الرحمن الرافعي ، تاريخي الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر ، ج ٢ ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٧ م) ، ص٧٦
- (٥) ابراهيم احمد شلبي ، تطور النظام السياسي والدستوري في مصر (القاهرة : دار الفكري العربي ، ١٩٧٤م) ، ص ٥٥
- (٦) جورج انطونيوس ، يقظة العرب ، ترجمه د.ناصر الدين الاسدود . احسان عباس ، ط ٥ ، (بيروت : العلم للملايين ، ١٩٧٨ م) ، ص ٨١ .
- (٧) المماليك : هم في الاصل من العبيد العسكر بين الأتراك، وفي عام ١٢٥٠م تولى المماليك السلطة على النيل وقد استمروا بذلك حتى عام ١٢٥٧ م حيث تم افتتاح القاهرة من قبل السلطان سليم العثماني ، وقد استطاعت طبقة المماليك الحفاظ على ذاتها والتكاثر طبقاً للمبادئ التالية : يعتبر مملوكاً كل من لم يكن مسلماً وفي بلد غير اسلامي وقد نشأ في هذه الظروف باعتباره غير حر ثم انتقل الى خدمة أحد المماليك سواء كان سلطاناً أو أميراً، ومن ثم يقوم الأمير بتنشئته وتربيته إسلامياً ثم يقوم بإعتاقه .

كلوس كريز وفارنرديم وهانس جورج ماير، معجم العالم الإسلامي، ترجمة د.ج. كتورة ، ط ٢ ، (بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٩٩٨م) ، ص ٦٤٢ - ٦٤٤ .

٨ (الدكتور جلال يحيى ، المصدر السابق ، ص ٢٣٦ .

٩(ساطع المصري ، تاريخ الدولة العثمانية في البلاد العربية ، (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٠م) ، ص ١٢٥ .

١٠(ساطع المصري ، المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

١١(علي حيدر سليمان ، تاريخ الحضارة الاوربية ، (العراق : ١٩٩١ م) ، ص ٤٢٦ .

١٢(محمد صبيح ، كفاح شعب مصر ، (مصر : د. ت) ، ص ١٩٣ .

١٣ (عمر مكرم بن حسين السيوطي (١٧٥٥-١٨٢٢م) ولد في أسيوط ، التحق بالأزهر في مطلع شبابه وتخرج فيه، اسندت إليه نقابة الأشراف عام ١٧٩٣م، يمثل عمر مكرم الزعامة الإسلامية الجامعة بين الدين والسياسة الواعية التي ارتفعت فوق المطاعم والأهواء، والتي آمنت بحق الشعب ودافعت عنه وحرصت على الوقوف بينه وبين ظلم المماليك، واستبداد الأتراك، وطغيان الفرنسيين.

انور الجندي، تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الإسلامي، ط ١ ، (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٠م) ص ٣٣١ - ٣٤٣ .

١٤(محمد صبيح ، المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

١٥(سيار كوكب علي الجميل ، تكوين العرب الحديث ١٥١٦-١٩١٦ ، (الموصل : ١٩٩١ م) ، ص ٢٨٨ .

١٦ (هيئة التدريس (كلية الاداب - جامعة فؤاد الاول) تاريخ العرب ، ط/١ ، (مصر : شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي ، ١٩٤٢م) ، ص ٣٠٨ .

١٧ (المصدر نفسه ، ص ٣١٩ .

- ١٨ (المصدر نفسه ، ص ٣٢٥ .
- ١٩ (عبد الرحمن الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والاخبار ، ج ٣ ، (القاهرة : ١٩٥١ م) ، ص ١٨٢ .
- ٢٠ (جون مارلو ، تاريخ النهب الاستعماري لمصر ، ترجمة عبد العظيم رمضان ، (مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦ م) ، ص ١١٨ .
- ٢١ (المصدر نفسه ، ص ١١٩ .
- ٢٢ (السلطان سليم الأول (١٤٧٠ - ١٥٢٠م)، تربيع السلطان سليم الأول على العرش العثماني في عام ١٥١٢ م ، وقد أظهر سليم منذ بداية حكمه ميلاً الى تصفية خصومه ولو كانوا من إخوته وأبنائهم، وكان يحب الأدب والشعر الفارسي والتاريخ، ورغم قسوته فإنه يميل الى صحبة رجال العلم وكان يصطحب المؤرخين والشعراء الى ميدان القتال ليسجلوا تطورات المعارك وينشروا القصائد التي تحكي أمجاد الماضي. وقد وصلت الدولة العثمانية الى مفترق الطرق، هل تظل على هذا الوضع وهذا القدر من الاتساع دولة بلقانية أناضولية ؟ أو تستمر في التوسع الاقليمي في أوربا ؟ او تتجه نحو المشرق الإسلامي؟ والواقع أن السلطان سليم الأول قد أحدث تغييراً جذرياً في سياسة الدولة العثمانية الجهادية فقد توقف في عهده الزحف العثماني نحو الغرب الأوربي واتجهت الدولة العثمانية نحو المشرق الإسلامي.
- علي محمد الصلابي ، الدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط ، ط ٢ (بيروت : دار المعرفة ، ٢٠٠٥)، ص ١٩٨ - ١٩٩ .
- ٢٣ (لوتكسي ، تاريخ الاقطار العربية الحديث ، (موسكو : دار التقدم ، ١٩٧١) ، ص ٥٧
- ٢٤ (المصدر نفسه ، ص ٥٨ .
- ٢٥ (أرناؤوط : الألبان هم احد الشعوب المعروفة جنوب شرق أوروبا (الألبان يقال لهم بالألبانية وبالتركية أرناؤوط). بدأت حركة الأسلمة في أوساط الألبان مع بداية الفتوحات العثمانية وقد اقتضت أول الأمر على الطبقة الحاكمة آنذاك، والتي تولى بعض افرادها مراكز هامة في الجيش وفي الإدارة العثمانية. بل أن معظم الجند المرتزقة الذين تألف منهم الجيش الانكشاري كانوا من الألبان .

معجم العالم الإسلامي ، المصدر السابق ، ص ٧٢ - ٧٣.

٢٦) الانكشارية نمطاً من الحرس الخاص المكلف بحماية كبار رؤوس الدولة. وقد تألف هذا الجيش في معظمه من الاحتياط البشري المتوفر في رعايا الدولة العثمانية، وقد تألف الجيش الانكشاري من أبناء الشعوب البلقانية - السلافية، ومن الألبان وأحياناً من اليونان. يعتبر الجندي الانكشاري عسكرياً مدى الحياة ويمنع من الزواج، لذلك كان هذا الجيش عادة عبارة عن فرق مختارة يصعب ضبطها أو إلزامها بالنظام وهي فرق مجهزة كلياً وعلى استعداد دائم للمشاركة بالمعارك وأما عن أسباب تجنيد الجيش الانكشاري في التوسع الذي حققته الدولة العثمانية في أرجاء البلقان.

معجم العالم الاسلامي ، المصدر السابق ، ص ٩٩ - ١٠٠ .

٢٧) جرجي زيدان ، تاريخ مصر الحديث ، ج ٢ ، ط/٣ ، (مصر : ١٩٢٥ م) ، ص ١٨٢ .

٢٨) فليب حتي ، العرب ، تاريخ موجز ، (بيروت : دار العلم للملايين) ، ص ٢٥٢ .

٢٩) احمد صادق الجمال ، الادب العامي في مصر في العصر المملوكي ، (القاهرة : الدار القومية للطباعة ، ١٩٦٦ م) ، ص ١٧

٣٠) يوسف نصر ، الدور الحضاري للجيش المصري في القرن التاسع عشر ، ط ١ (القاهرة : مكتبة مدبولي ، ١٩٨٣ م) ، ص ١٦

٣١) لوتسكي ، المصدر السابق ، ص ٦٦ .

٣٢) المصدر نفسه ، ص ٦٨ .

٣٣) محمد صبيح ، المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .

٣٤) هيئة التدريس ، المصدر السابق ، ص ٣١٦ .

٣٥) المصدر نفسه، ص ٣١٧.

٣٦) محمد رفعت، المصدر السابق، ص ٥٤.

- ٣٧ (المصدر نفسه ، ص ٥٥ .
- ٣٨) رفاة بك رافع، مناهج الالباب المصرية في مناهج الاداب العصرية، ترجمة اعضاء مجلس القوميسون ، (مصر : ١٢٨٦هـ) ، ص ١٥١ .
- ٣٩ (جرجي زيدان ، المصدر السابق ، ص ١٨٣ .
- ٤٠) جيلبير سينوية ، الفرعون الاخير ، ترجمه حافظ الجمالي ، (دمشق : ٢٠٠٥ م) ، ص ٢٠٠ .
- ٤١) جيلبير سيونه ، المصدر السابق ، ص ٢٠٧ .
- ٤٢) عبد الرحمن الرافعي بك ، عصر محمد علي ، ط/٣ ، (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة الفكرة ، ١٩٥١م) ، ص ٣٨٦ .
- ٤٣ (المصدر نفسه ، ص ٣٨٧ .
- ٤٤ (المصدر نفسه ، ص ٣٨٩ .
- ٤٥ (المصدر نفسه ، ص ٣٩٠ .
- ٤٦ (المصدر نفسه ، ٢٩١
- ٤٧ (المصدر نفسه ، ص ٢٩٤ .
- ٤٨ (محمد صبيح ، المصدر السابق ، ص ٣٠٥ .
- ٤٩) محمد صبيح ، المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .
- ٥٠) القيصر بطرس الأكبر: (١٦٧٢ - ١٧٢٥م)، امبراطور روسيا (١٧٢١ - ١٧٢٥م) وقيصرها (١٨٦٢ - ١٧٢٥م)، مؤسس الدولة الروسية الحديثة، ظهرت في سن صغيرة موهبة بطرس في القيادة، وايقظ معلماه في نفسه الاهتمام ببناء أسطول وإدخال النظم العصرية في الجيش، وجعل بطرس هدفه الأكبر امتلاك منافذ على

البحر البلطي الذي كانت تسيطر عليه السويد وقتئذ، والبحر الأسود الذي كانت سواحله ملكاً لتركيا وذلك لتصبح روسيا دولة تجارية وبحرية كبرى، درس طرق الصناعة وخلق أنظمة جديدة للإدارة الحكومية، وجعل الضرائب عامة، ووحد العملة، وأسس المستشفيات ومدارس الطب ومصالح إطفاء الحرائق، وشجع الصناعة الخاصة ونهض بالتجارة.

الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الثاني ، ط٣ (بيروت : المكتبة العصرية ، ٢٠٠٩) ، ص ٧٢٣ - ٧٢٤.

(٥١) محمد شفيق غربال ، عصر محمد علي ، (مصر : دار المعارف بمصر ، عام ١٩٤٥م) ، ص ٢٠٢ .

(٥٢) فرنان شنيدر ، تاريخ الفنون العسكرية ، ترجمه فريد انطونيوس ، ط / ١ (بيروت : منشورات عويدات ، ١٩٧٠) ، ص ٤٦ .

(٥٣) درويش المقداري ، تاريخ الامة العربية ، (بغداد : مطبعة المعارف ، ١٩٣١) ، ص ٦٣٥ .

(٥٤) فيليب حتى ، المصدر السابق ، ص ٨٧٣

(٥٥) جون مارلو ، المصدر السابق ، ص ١٨٢ .

(٥٦) محمد رفعت ، تاريخ مصر السياسي في الازمنة الحديثة، ج١ ، ط١ ، (مصر : مطبعة الشعب ، ١٩١٦م) ، ص ٥٣ .

(٥٧) ادوار جوان ، مصر في القرن التاسع عشر، ترجمة محمد مسعود، ط٢ ، (مصر : مصلحة التجارة والصناعة ، ١٩٣١) ، ص ٦٥٢ .

(٥٨) حسن احمد ابراهيم، محمد علي في السودان ، (السودان : جامعة الخرطوم ، دار الطباعة) ، ص ٢٣ .

٥٩ (ميخايل شاروبيل، الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث، ج٤، (مصر المحمية ، المطبعة الكبرى الاميرية ، بولاق ، ١٩٠٠) ، ص٤٩ .

٦٠) فيليب متي، تاريخ العرب، ج١، (بيروت : دار الكشف، ١٩٤٩) ، ص١٧٨ .

٦١) محمد عبد الوهاب (١٧٠٣ - ١٧٩٢م) وهو مؤسس الوهابية . درس في المدينة وعاش في الخارج لعدة سنوات، بما فيها أربع سنوات في البصرة، العراق. وقد دعا عبد الوهاب الى محاربة البدع والكفر، مثل الطرق والمعتقدات الصوفية. كتب كتاب التوحيد، وسمي اتباعه الإخوان والموحدين. وقف عبد الوهاب بصرامة ضد اي بدعة، لما وقف ضد الافتراض بأن هناك وسيطاً بين الله والإنسان، كذلك تزيين المساجد. طرد عبد الوهاب في عام ١٧٤٤م من عيينة واستقر في الدرعية، التي أصبحت فيما بعد عاصمة ابن سعود. والوهابية : نسبة الى مؤسسها محمد عبد الوهاب، شغلت جزءاً مهماً من تاريخ شبه الجزيرة العربية بأفكارها التي استوحاها من ابن تيمية (١٢٦٣ - ١٣٢٨م) وتلميذه ابن القيم الجوزية (١٢٩٢ - ١٣٥٠م) فأطلق عليه وعلى اصحابه (الموحدين) في حين اطلق عليه خصومه والرحالة والمؤلفون اسم الوهابي وعلى اصحابه اسم الوهابيين، لى ابن سعود الدعوة الوهابية وبدأ بالفتوحات التي تابعها اولاده والتي انتهت بتأسيس المملكة العربية السعودية في العصر الحديث. (١١)

احمد الموصولي ، موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي وإيران وتركيا، ط١ . (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠٤م)، ص ١٢٢ - ١٢٣ ؛ عبد العال وحيد عبود العيساوي، الغزوات الوهابية على العراق في سنوات الانتداب البريطاني ١٩٢٠ - ١٩٣٢م، ط١ . (النجف الاشرف : مطبعة الرائد، ٢٠١٠م) ، ص ١٣ .

٦٢) تربي ابو العز، الدر المنتخب في تاريخ المصريين والعرب، ج٢، (مصر : مطبعة التاليف بشارع الفجالة ، ١٩٩٤م) ، ص٧٨ .

٦٣) تربي ابو العز، المصدر السابق ، ص٨١ .

٦٤) محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق الدكتور احسان حقي ، ط٥ ، (بيروت : دار النفائس ، ١٩٨٦م) ، ص٤١٤ .

٦٥) احمد الخنسه ، محاضرات في العلاقات الدولية ، (لبنان : الجامعة اللبنانية كلية الحقوق والعلوم السياسية المرحلة الأولى ، ١٩٨٢م) ، ص١٢٥ .

- ٦٦) محمد سهيل طقوش ، العثمانيون من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة ، ط ١ ، (بيروت : دار بيروت المحروسة ، ١٩٩٥ م) ، ص ٣٣٠ .
- ٦٧) المستر ستيفن جيمسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، ط ٤ ، (ايران : المكتبة الحيدرية) ، ص ٢٧٨ .
- ٦٨) السلطان محمود الأول (١٧٣٠ - ١٧٥٨م) : تولى الحكم بعد أن هدأت الأحوال بسبب اضطرابات الانكشارية، فقرر السلطان محمود الأول استخدام مستشار أوروبي فرنسي للشؤون العسكرية واسمه (ألكسندر الكونت دي بونفال) وقد عهد إليه بإحياء فرقة المدفعية، وأدخلت انظمة جديدة للخدمة العسكرية على أسس فرنسية ونمساوية بهدف جعل الخدمة العسكرية مهنة حقيقية، وذلك بتوفير المرتبات والمعونات، واهتم كذلك بصناعة المدافع والبارود والبنادق والالغام، إلا أن الانكشارية عارضوا كل المشروعات.
- علي حيدر سلمان ، تاريخ المدنية الأوروبية الحديثة ، ط ٢ ، (بغداد : مطبعة دنكور الحديثة ، ١٩٣٣م) ، ص ٦٢١ .
- ٦٩) يوسف نصر ، المصدر السابق ، ص ٧٤
- ٧٠) عبد العزيز نوار ، تاريخ العرب المعاصر ، (بيروت : دار الفكر ، ١٩٧٣م) ، ص ١٨٢
- ٧١) جورج انطونيوس ، يقظة العرب ، ترجمه الدكتور ناصر الدين الاسد والدكتور احسان عباس ، ط ٥ / ، (بيروت : دار المعلم للملايين ، ١٩٧٨) ، ص ٨١ .
- ٧٢) بالمرستون، هنري جون تمبل (١٧٨٤ - ١٨٦٥م) : سياسي انجليزي. دخل البرلمان عضواً محافظاً عام ١٨٠٧م، وعين وزيراً للحربية (١٨٠٩ - ١٨٢٨م) وانشق ١٨٣٠م على حزب المحافظين لحضه على إدخال إصلاحات برلمانية، وانظم الى حزب الاحرار الذي عينه وزيراً للخارجية (١٨٣٠ - ١٨٤١م) قدم لبعض الدول الأوروبية مساعدة كبيرة في تحفيزهم للاستقلال. عاون - بالتحالف مع فرنسا وروسيا - اليونانيين في نيلهم الاستقلال ١٨٣١م، وفي وقف زحف جيوش محمد علي على الاستانة، وحرمانه من فتوحاته الواسعة (١٨٣٩ - ١٨٤١م). (٧٢)
- الموسوعة العربية الميسرة، المصدر السابق، مجلد ٢ ، ص ٦١٥ .
- ٧٣) حسين مؤنس ، الشرق الاسلامي في العصر الحديث ، ط ٢ ، (القاهرة : مطبعة حجازي ، ١٩٣٨ م) ، ص ١٤٠ ، ص ١٤٦ .